الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف لميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي
المرجع: .....

التراث الشعبي الجزائري في رواية "وادي الحناء" لجميلة طلباوي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب جزائري

إعداد الطالبتين:

** دليلة بوسدر*
**مريم العيون*

إشراف الأستاذة:

**د. سامية بن دريس*

لجنة المناقشة:

د. زهيرة بوزيدي	رئيسا
د. سامية بن دريس	مشرفا ومقررا
د حميدة سليوة	مناقشا

السنة الجامعية: 2021/2020

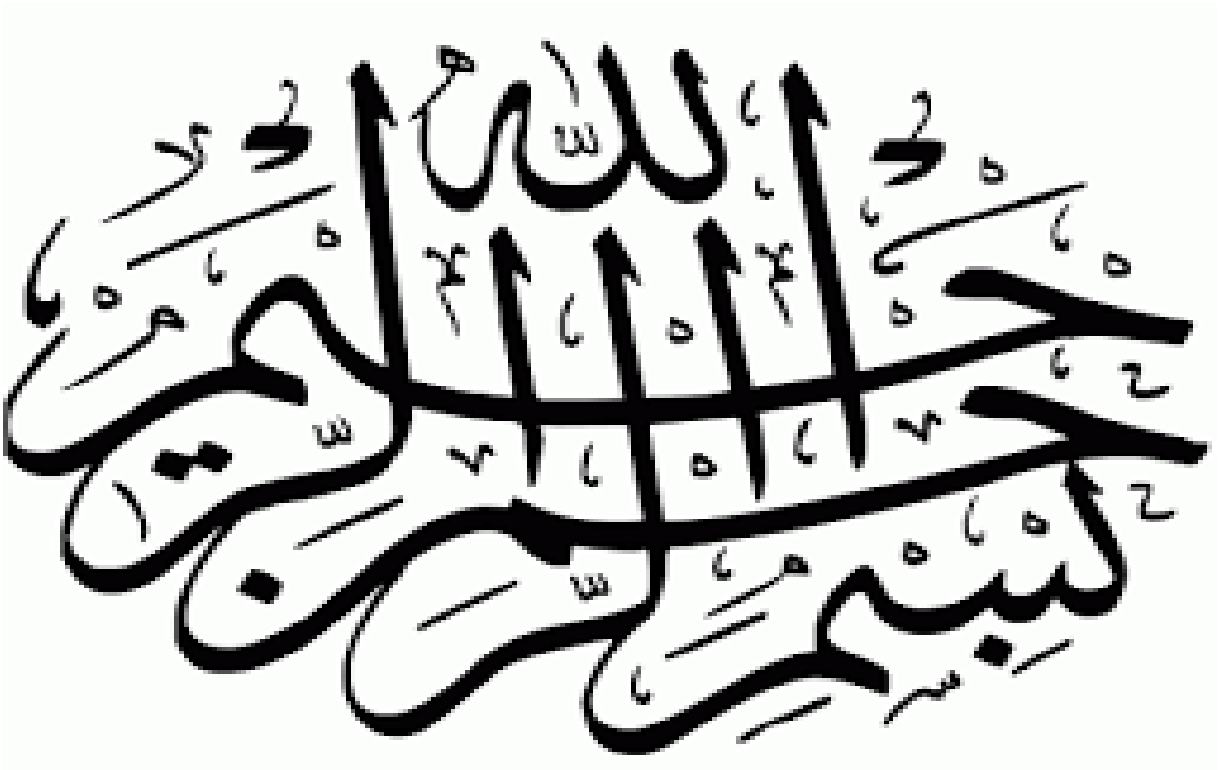
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من لم يشكر الناس لم يشكر الله" صدق رسول الله

لله الفضل من قبل ومن بعد فالحمد لله الذي منحنا القدرة على إنجاز هذا العمل المتواضع وبعد

أتوجه بجزيل الشكر وفائق الاحترام والتقدير وأسمى معاني العرفان

إلى الأستاذة الفاضلة الدكتورة سامية بن دريس

على مساعدتها لنا في إنجاز هذا العمل وعلى جميل صبرها وجهودها ونصائحها

وأسأل الله أن يجزيها عنا خير الجزاء وأن يجعلها ذخرا لأهل العلم والمعرفة

كما نتقدم بالشكر إلى كل أساتذة وإداريي قسم اللغة العربية وآدابها

وإلى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد

SAeedD.com

مـقـدمـــة

تعد الرواية جنسا من الأجناس الأدبية، التي تطورت بتطور الإنسان، إذ تعالج مختلف قضايا المجتمع، كما تتناول موضوعات سياسية وثقافية واجتماعية وتاريخية، والرواية الجزائرية هي الأخرى حملت فضاءاتها عديد الموضوعات التاريخية التي تعد تأصيلا وتعريفا لحضارة الشعب الجزائري ومميزاته، فضلا عن عاداته وتقاليده وتراثه.

ويمثل التراث الشعبي أهم المفاهيم والقضايا التي اشتغل بها الدارسون والأدباء في أعمالهم الإبداعية، كما أنه رمز للهوية الإنسانية الخاصة بالشعوب المختلفة، إذ يسهم في تعزيز الصلة بين الماضي والحاضر والمستقبل، ويساعد على ديمومة المجتمعات، و يجسد روح الأمة الذي يسري في كيانها، على مدى العصور والأجيال، لثرائه بمخزون هائل من القيم الاجتماعية، ويعتبر مرآة عاكسة للبيئة والمجتمع، ويحمل _بشكل خاص_ الكثير من المضامين والدلالات التي عبرت بعمق وصدق عن أصالته والتصاقه بحياة الإنسان المملوءة بمختلف الأشكال الشعبية، التي تستند في فحواها إلى الذاكرة الفردية والجماعية، حيث يسعى إلى زيادة التماسك الاجتماعي وتعزيز السلام بين الجميع.

وهذا ما سنحاول الخوض فيه خلال موضوعنا المتمثل في: التراث الشعبي الجزائري في رواية " وادي الحناء" لجميلة طلباوي. ومن هنا تأسست إشكالية بحثنا على الأسئلة التالية:

_ كيف وظفت جميلة طلباوي التراث الجزائري في روايتها "وادي الحناء"؟

- ما المقصود بالتراث؟
- وما هي خصائصه؟ وأقسامه؟ وفيم تكمن أهميته؟

وقد دفعتنا العديد من الأسباب لاختيار هذا الموضوع نذكر منها:

- الرغبة في البحث حول التراث الشعبي الجزائري والتعرف على الأشكال التراثية التي تتضمنها الرواية

- المساهمة ولو بجزء يسير في التعريف بتراثنا الشعبي وحفظه من الزوال
- الميل الطبيعي للرواية قراءة ودراسة
- حبا للتراث الجزائري والسعي لاستكشافه

وعلى الرغم من أننا لسنا أول من طرق موضوع التراث الشعبي، في الرواية الجزائرية إذ سبقتنا دراسات أخرى، فإننا _حسب علمنا_ أول من درس هذا الموضوع في رواية "وادي الحناء"، ومن الدراسات السابقة:

- كتاب التناص التراثي _الرواية الجزائرية أنموذجا_ لسعيد سلام، والتي أدرجها ضمن فصل من فصول كتابه.
- تشكيل التراث في أعمال محمد مفتاح الروائية من إنجاز زهية طرشي مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب واللغة العربية، تخصص السرديات العرية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، السنة الجامعية 2015/ 2016.
- توظيف التراث في روايات عبد الملك مرتاض (ثلاثية الجزائر) و(ثنائية الجحيم) من إنجاز خديجة نواري، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه (ل. م. د) تخصص دراسات في اللغة والأدب، جامعة أدرار، السنة الجامعية 2016/ 2017.

ولأن البحث يحتاج إلى أساس يستند إليه، والمتمثل في الخطة التي تحددها معالم الدراسة، فقد جاءت خطة هذا البحث مكونة من مقدمة وفصلين وخاتمة.

فأما الفصل الأول فكان بعنوان "التراث الشعبي وماهيته" بينّا فيه مفهوم التراث لغة واصطلاحا، ومفهوم التراث الشعبي وأقسامه وخصائصه وأهميته، كما تطرقنا إلى عنصر آخر يتمثل في واعث توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة.

ليأتي الفصل الثاني موسوما بـ "التراث الشعبي الجزائري في رواية وادي الحناء"، وفيغ وقفنا عند أهم تجليات العادات والتقاليد والمعتقدات الشعبية والأدب الشعبي، ضف إلى ذلك الفنون الشعبية التي وظفتها الرواية في متنها الروائي.

لنبلغ في نهاية البحث الخاتمة، التي رصدت أهم النتائج التي توصلنا إليها.

وقد اعتمدنا في طرح إشكالات البحث وتقديم مضامينه على ما يعرف بالمنهج الإجرائي، استنادا على آليتي الوصف والتحليل تماشيا مع طبيعة الموضوع.

ومن أهم المصادر والمراجع التي استأنسنا بها لإنجاز هذا البحث نذكر المصدر الأساسي المعتمد وهو رواية " وادي الحناء" لجميلة طلباوي، بالإضافة إلى مجموعة من المراجع أهمها:

- "توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة" لمحمد رياض وتار.
- "مناهج دراسات الأدب الشعبي" لأمينة فزازي
- "في التراث والشعر واللغة" لشوقي ضيف.

وككل الباحثين واجهتنا صعوبات وعراقيل أثناء جمعنا لهذه المادة العلمية منها:

- اتساع موضوع (التراث) وتداخل بعض المواضيع التي تناولته.
- ضيق الوقت

وفي الأخير نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذة " سامية بن دريس" المشرفة على هذا العمل المتواضع، التي أعانتنا بتوجيهاتها السديدة حتى استطعنا أن نخرج هذا العمل في صورته الحالية.

كما نشكر كل من قدم لنا يد المساعدة، ولا ننسى شكر اللجنة التي أنفقت من وقتها لقراءة هذا البحث وتقييمه بملاحظات بناءة.

الفصل الأول:
التراث الشعبي وماهيته

الفصل الأول: التراث الشعبي وماهيته

1. تعريف التراث
    1.1. لغة
    2.1. اصطلاحا
2. تعريف التراث الشعبي
3. أقسام التراث الشعبي
    1.3. المعتقدات والمعارف الشعبية
    2.3. العادات والتقاليد الشعبية
    3.3. الأدب الشعبي
    4.3. الثقافة المادية والفنون الشعبية
4. خصائص ومميزات التراث الشعبي
5. أهمية التراث الشعبي
6. بواعث توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة
    1.6. البواعث الواقعية
    2.6. البواعث الفنية
    3.6. الحركة الثقافية

تناول العديد من الدارسين موضوع التراث الشعبي في النصوص الأدبية، وقد اختلفت آراءهم حول اعطاء مفهوم عام لهذا المصطلح وكل حسب وجهة نظره.

1. تعريف التراث:

1.1. لغة:

ورد في لسان العرب لـا بن منظور في تعريفه لكلمة "ورث": " الوارث وهي صفة من صفات الله عز وجل، لأنه الباقي الدائم الذي يرث الخلائق، يبقى بعد فنائهم، يرث الأرض ومن عليها هو خير الوارثين يبقى بعد فناء الكل، ويفنى من سواه، فيرجع ما كان ملك العباد إليه وحده لا شريك له"[1]، وهذا يعني أن الله هو صاحب الملك لا يشترك معه أحد من الخلق في الورث فهو العاطي والآخذ.

وقد جاءت كلمة "التراث" في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا﴾[الفجر/ الآية: 19]، ويقصد هنا أكل ميراث النساء والضعفاء والصغار من ذوي الميراث.

أما في مقاييس اللغة فجاءت كلمة ورث هو " الورث والميراث هو أن يكون الشيء لقوم ثم يصير لآخرين بنسب أو سبب"[2]، ويدل هذا على أن الميراث ينتقل من جيل إلى جيل عن طريق الأجداد في المجتمع الواحد.

---

(1) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور: لسان العرب، مادة "ورث"، دار صادر، بيروت، ط2 ،1999، مجلد2، ص199.

(2) أبو الحسن بن فارس: مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل للطبع والنشر، القاهرة، ط1، 1979، ج6، ص105.

أما في معجم الصحاح فقد جاءت كلمة "التراث" من " الإرث الميراث وهو وارث من كذا أي أمر توارثه الآخر عن الأول"[1]، ويتضح لنا أن الإرث شيء يبقى محفوظا بين الأجيال في الذاكرة عبر العصور.

وأخذ هذا المصطلح في الاتساع، منبثقا عن مفاهيم جديدة، وهذا ما جعلنا نقف في مفهومه الاصطلاحي عند بعض الباحثين والنقاد الذين بحثوا عن تبلور مفاهيم متباينة، لهذا المصطلح.

2.1. اصطلاحا:

تعددت تعاريف التراث بين باحث وآخر، حيث عرّفه "جبور عبد النور" بأنه "ما تراكم خلال الأزمنة من تقاليد وعادات، وتجارب، وخبرات، وفنون وعلوم في شعب من الشعوب وهو جزء أساسي من قوامه الاجتماعي، والإنساني والسياسي والتاريخي والخلقي ويوثق علاقته بالأجيال الغابرة التي عملت على تكوين هذا التراث وإغنائه"[2].

وتجدر الإشارة إلى أن التراث يمثل هوية الشعب، التي يسعى للتمسك بها، لأنها تمثل الجسر الذي يربط بين الماضي والحاضر.

لذلك يرى الباحثون أنّه " انتقال شيء ما عبر الزمن، وأنه _ بشكل عام _ عناصر الثقافة التي تنتقل من جيل إلى آخر"[3]. ونفهم من هذا أن التراث، يتشكل من العناصر الثقافية التي

---

[1] اسماعيل بن حماد الجوهري: معجم الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور طار، دار العلم للملايين، ط3، 1984، ج1، ص272.

[2] عبد النور جبور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1979، ص64.

[3] ابراهيم أبو طالب: الموروثات الشعبية القصصية في الرواية اليمنية (دراسة في التفاعل النصي)، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، اليمن، د ط، 2004، ص21.

خلفها الأسلاف للأجيال اللاحقة، وتنطوي تحتها مجموعة من العادات والتقاليد، والقيم والمبادئ، والأخلاق...

وهذا ما جعلها تترسخ في أذهان الجماعات، عن طريق توارثها جيلا عن جيل.

ويعرفه الناقد عبد العزيز تليمة بقوله: " التراث هو كل ما حفظه وعاء تجربة شعبنا ومبادرته في التاريخ الإنساني، من نص مدون أو أثر باق، أو مروية شفوية متواترة منذ اكتشفت بلادنا الكتابة وطرائق البناء والمعمار وتكوين الجهاز الحكومي والتحكم في المياه... إلى يوم الناس هذا..."[1]. ومن هذا المنطلق نفهم أن التراث مخزون ثقافي، مثل المرآة التي تعكس ثقافة الشعوب، غير أن هذا التراث التاريخي الإنساني موجود وممتد في ذات الإنسان المبدع، وهذا نتيجة محافظته على الآثار المدوّنة والشفوية على مدار السنين.

ويذهب بعضهم نحو إعطاء بعد آخر للتراث العربي الإسلامي حيث يقول: " وبهذا المعنى ليس التراث العربي تراثا عربيا فقط وإنما هو أيضا تراث إنساني، والعلاقة به هي علاقة بتاريخ الإنسان في ذاته، والكرامة الخاصة التي للإنسان تضفي هي أيضا بدورها طابع القداسة على التراث"[2]. وبناءً على ذلك فإن التراث العربي مقدس لدى الإنسان العربي لما له من علاقة وثيقة بتاريخه.

---

[1] ابراهيم أبو طالب: الموروثات الشعبية القصصية في الرواية اليمنية، المرجع السابق، ص21.

[2] فهمي جدعان: نظرية التراث دراسات عربية وإسلامية أخرى، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، 1985، ص14.

2. تعريف التراث الشعبي:

تباينت آراء النقاد والباحثين، واختلفت وجهات نظرهم حول إعطاء مفهوم دقيق لهذا المصطلح المركب، حيث نجد له عدة تسميات منها: الموروثات الشعبية والمأثور الشعبي وكلها تنصب داخل معنى واحد، وهو التراث الشعبي، فمن تعاريفه نجد أنه " الصورة الحقيقية للشعب وهو بالنسبة إلى الشعب العربي، تراث شعبي واحد مشترك، يؤكد وحدة الشعب العربي ويدعمها"[(1)]، وهنا يتضح لنا أنّ التراث يعبر عن روح الشعوب ويتفاعل معها في مختلف مجالات الحياة، ويتحد مع ثقافتها عاكسا قيمها وأنماط سلوكها.

ويعرفه حلمي بدير أنه " التراث الشعبي يشمل كل من العادات والتقاليد والطقوس والأزياء المختلفة في المناسبات لطقوس الزواج والميلاد والوفاة، والختان، والزرع والحصاد ونحوها، بل يتسع ليشمل سلوكات الأفراد مع أنفسهم فيما يأخذون ويدعون، وما هو عيب وما هو ليس كذلك"[(2)].

ويلاحظ أن التراث الشعبي له مفهوم واسع وشامل، تندرج تحته كل الممارسات التي يمارسها الإنسان في حياته اليومية والمعيشية والتي تمثل معتقداته وتصوراته.

[(1)] أحمد زياد محبك: من تراثنا الشعبي، دراسة تحليلية للحكاية الشعبية، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص18.

[(2)]حلمي بدير: أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث"، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، 2003، ص15. نقلا عن: سميرة منصوري: توظيف التراث في الرواية المغاربية الجديدة_ قراءة في نماذج _ أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الرواية المغاربية، جامعة جيلالي إلياس سيدي بلعباس، 2016/ 2017، ص5.

وينظر آخرون إلى التراث على أنه " يمثل ركيزة الأمة الحضارية وجذورها الممتدة في باطن التاريخ"[1]. وانطلاقا من هذا التعريف نستنتج أن التراث الشعبي هو العمود الذي تقف عليه الشعوب منذ العهد القديم.

ونستخلص مما سبق أن التراث لا يمثل الجانب الروحي والشفهي فقط، بل يمثل التراث المادي الذي ابتكره الشعب، وهو الذاكرة الحية للفرد والمجتمع، ففقدان التراث يعني فقدان الذاكرة لأنه مكوّن من مكونات الهوية المتجذرة، لذوات الشعوب، يربط حاضر الأمة بماضيها ليعزز حضورها في الساحة الثقافية العالمية، أي أنه يتعلق بتاريخ الإنسان في تجارب ماضيه وعيشه في حاضره، وتطلعه نحو مستقبله، منتقلا من جيل إلى جيل.

[1] عز الدين اسماعيل: المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د ط، 1975، ص8.

3. أقسام التراث الشعبي:

بما أن التراث الشعبي يمثل جزءا مهما في تاريخ وثقافة الشعوب، فهو الوعاء الذي تستمد منها عقيدتها وقيمها الأصلية، وهو هو منبت الهوية، وقيم الانتماء، كما يمثل جسر تواصل بين الأجيال، فقد قسم الباحث **محمد الجوهري** التراث الشعبي إلى أربعة أقسام رئيسية، وهي:

1.3. المعتقدات والمعارف الشعبية:

تعتبر المعتقدات الشعبية جزءا هاما من تكويننا وسلوكنا، وهي منغرسة في قلوبنا، فرغم أنها بلا منطق، وخيالية وتتناول عالما لا وجود له، إلا أننا نؤمن ونتمسك بها، لأنها موروثة عن الأجداد، ويعرف محمد جوهري أن ""الشعبية" تدل على ما تدل عليه في عبارة "الأغاني الشعبية" أو "العادات الشعبية"... الخ أي أننا نقصد المعتقدات التي يؤمن بها الشعب فيما يتعلق بالعالم الخارجي والعالم فوق الطبيعي"[(1)]. وفي هذا المقام تدل المعتقدات والمعارف الشعبية على مختلف الإنتاجات التي ينتجها الشعب من شعر وأغانٍ شعبية وطقوس مختلفة، حيث أصبحت جزءا لا يتجزأ من حياته اليومية، التي لا يستطيع الاستغناء عنها.

أما عبد الحميد بوسماحة فيعرّف المعتقدات والمعارف حيث يقول: "وإذا كانت المعتقدات الشعبية متصلة بأعماق الطبيعة البشرية، فإنها موجودة في الريف والمدينة عند الأمي والمتعلم ذلك أن التفكير البسيط مجرد من المعارف العلمية لا يقتصر على الفئات الشعبية وحدها بقدر ما يتوفر بدرجات متفاوتة في كافة مستويات السلم الاجتماعي لأفراد المجتمع الواحد"[(2)]، فمن خلال هذا السياق نستنتج أن المعتقدات والمعارف التي تمارسها جميع طبقات المجتمع _ دون

[(1)] محمد الجوهري: مقدمة في دراسة التراث الشعبي المصري"، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، جامعة القاهرة، ط1، 2006، ص33.

[(2)] عبد الحميد بوسماحة: الموروث الشعبي في روايات عبد الحميد بن هدوقة، دار السبيل، الجزائر العاصمة، بن عكنون، 2008، ص61.

استثناء_ جعلت الشعوب تثق في معالمها وموادها الثقافية، وبالتالي دأبت على ممارسة طقوسها التي كونت كيانه الفردي والاجتماعي.

ويصنف محمد جوهري المعتقدات والمعارف الشعبية، إلى مجموعة من الموضوعات المتنوعة، حيث يقول: " أما من تصنيفنا للمعتقدات الشعبية ... فيمكن أن نوجزه في الموضوعات الأساسية التالية التي يضم كل منها عشرات وأحيانا مئات الموضوعات الفرعية:

1. الأولياء
2. الكائنات فوق الطبيعية
3. السحر
4. الطب الشعبي
5. الأحلام
6. حول الجسم الإنساني
7. حول الحيوان
8. النباتات
9. الأحجار والمعادن
10. الأماكن
11. الاتجاهات
12. الألوان
13. الأعداد
14. الأنطولوجيا
15. الروح
16. الطهارة
17. النظرة إلى العالم"[1].

ومن هنا نفهم أنّ الثقافة الشعبية تضمّ مختلف الإبداعات الشعبية والفنية والمعتقدات الاجتماعية والفكرية والدينية.

---

[1] محمد الجوهري: مقدمة في دراسة التراث الشعبي المصري، المرجع السابق، ص36، 37.

2.2. العادات والتقاليد الشعبية:

لكل مجتمع من المجتمعات عادات وتقاليد يسير عليها، ويتّبع مبادئها، وهذه العادات ورثها من أسلافه، لذلك يعمل الفرد على المحافظة عليها وعدم تهميشها بخروجه عن العرف.

ويذهب عبد الحميد بوسماحة في تعريفه للعادات والتقاليد الشعبية فيقول: " إن العادات والتقاليد الشعبية في كل بيئة سواء أكانت تقليدية أم حديثة وتظهر في العلاقة الوثيقة بين الفرد والجماعة، وترتبط بالقدرة على التكيف مع ظروف البيئة الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية وذلك من أجل البقاء والحفاظ على الحياة، وهناك نوعان من العادات والتقاليد، أحدهما ينشأ من التفاعل الجماعي مع العالم الخارجي والآخر ذاتي يتصل بالأساليب التي يكونها الفرد من خلال ممارسة شؤونه الخاصة"[(1)]، وتنطوي وجهة النظر في هذا القول على أن كل منطقة، وكل أسرة خاضعة لها، ترتكز على قيمها، وتحترم مبادئها وقوانينها وتمارس نشاطها اليومي غير منعزلة عن عادات وتقاليد المنطقة.

أما "محمد الجوهري" فيرى أنه " لا يوجد ميدان من ميادين التراث الشعبي، بعد الأدب الشعبي حظى بمثل ما حظى به ميدان العادات الشعبية من الاهتمام، ويتمثل هذا الاهتمام في الدراسات الفولكلورية من جهة، ومن جهة أخرى عمليات الجمع والتسجيل، فأصبح من المستحيل على الباحث أن يلم إلماما كاملا بالتراث الدائر حول العادات الشعبية، والعادة_ فيما يتصل بتعريفها_ ظاهرة أساسية من ظواهر الحياة الاجتماعية الانسانية وواحدة من حقائق الوجود الاجتماعي"[(2)]. ويلاحظ من هذا الرأي أن العادات والتقاليد ظاهرة من ظواهر الحياة الاجتماعية، تساهم في تأصيل الروابط الانسانية بين الأفراد والشعوب.

(1) عبد الحميد بوسماحة: الموروث الشعبي في روايات عبد الحميد بن هدوقة، مرجع السابق، ص12.

(2) ينظر: محمد الجوهري: مقدمة في دراسة التراث الشعبي المصري، مرجع السابق، ص36.

ويقترح محمد جوهري تصنيفات للموضوعات التي تندرج تحته ميدان العادات والتقاليد الشعبية، فيصف " عادات دورة الحياة: وتشمل كل من الميلاد، وكل ما يتضمنه من حمل ووضع الوليد، السبوع، التسمية، تنشئة الطفل، البلوغ، وأيضا الزواج يشمل الخطوبة، الشبكة، الزفاف، الصبحية، الأقارب، والوفاة تشمل استعداد الحي للموت، وعلامات تدل على الموت، سلوك الميت، وعادة أخرى تتمثل في أعياد ومناسبات مرتبطة بدورة العام يدخل في إطارها الأعياد الدينية، والقومية والمراسم الزراعية، كما نجد تصنيف آخر يتمثل في الفرد في المجتمع المحلي تتمثل في المراسيم الاجتماعية والعلاقات الأسرية والعادات والمراسيم المتعلقة بالمأكل والمشرب والروتين اليومي، وفض المنازعات والتحكيم"(1)، ويدل هذا على أن العادات تتضمن مجموعة من السلوكات الاجتماعية والسياسية والدينية والثقافية، يتصف بها الفرد داخل المجتمع.

3.3. الأدب الشعبي:

يتسم الأدب الشعبي بالشعبية، لأنه يصدر عن عامة الناس، ويعبر عن ذواتهم ووجدانهم "فالأدب الشعبي موضوع تقليدي بارز من موضوعات التراث الشعبي، لسنا في حاجة إلى أن نسوق أدلة للتدليل على ذلك، وقد سلفت الإشارة إلى أنه أكثر موضوعات التراث الشعبي حظا من البحوث والدراسات، ومهما اختلف الباحثون على حدود الفولكلور، فهم لا يختلفون لحظة على أن ميدان الأدب الشعبي يقع في مكان القلب من هذا العلم"(2). وانطلاقا مما سبق نفهم أنّ الأدب الشعبي مصطلح قديم، حيث لفت اهتمام المستشرقين والباحثين العرب لما له من أهمية كبيرة باعتباره الأساس الذي يبنى عليه علم الفولكلور.

(1) محمد الجوهري: مقدمة في دراسة التراث الشعبي المصري، ص 41، 42.

(2) المرجع نفسه، ص43.

أما أمينة فزازي فتعرّفه بقولها: "أما فيما يتعلق بالشطر الثاني من المصطلح (شعبي) فإننا نذكر أن الباحث بوحبيب حلل مصطلح (الأدب الشعبي) تحليلا دلاليا إذ يرى أنه إذا كانت صفة الشعبي تشير إلى كيان اجتماعي وسياسي وثقافي فهو الشعب فإن هذا الوصف يمكن أن يقصد به ثلاثة احتمالات وهي:

1. أدب أنتج من أجل الشعب بصفته قارئا أو متلقيا للأدب.
2. أدب يتحدث عن الشعب موضوع للأدب.
3. أدب أنتجه الشعب من ذات جماعية مبدعة"[1].

ويظهر لنا أن الأدب يعبر عن الشعب ويتحدث عنه، وبذلك فهو يصدر عن الجماعة التي أنتجته.

وقدّمت نبيلة ابراهيم في كتابها "أشكال التعبير في الأدب الشعبي" تصنيفا لأبرز الأنواع الأدبية الشعبية، وحدّدتها كما يلي:

1. الحكاية الشعبية 2. الحكاية الخرافية

3.الأسطورة الكونية

أ. الأسطورة الكونية ب. أسطورة الأخيار والأشرار

4. المثل 5. النكتة

6. اللغز 7. الأغنية الشعبية "[2].

[1] أمينة فزازي: مناهج دراسات الأدب الشعبي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 2010، ص36.
[2] محمد جوهري: مقدمة في دراسة التراث الشعبي المصري، ص44.

وهذا التصنيف الذي قامت به نبيلة ابراهيم يجعلنا نقول أن الأدب الشعبي يتضمن ما هو واقعي وغير واقعي، وما هو مروي وشفوي ومسلّ.

4.3. الثقافة المادية والفنون الشعبية:

تتمحور الثقافة المادية والفنون الشعبية، في مجموعة من أشكال التعبير الشعبي منها الشعر والغناء، وما تتضمنه من طرق موروثة في الأداء والأشكال، ومن ألوان الرقص والألعاب والمهارات ليكون عبرة من الماضي ونهجها، يستقي منه الأبناء الدروس ليعبر بها عن الحاضر والماضي فا" الثقافة تمثل صدى لتقنيات ومهارات وصفات انتقلت عبر الأجيال، ومن المسائل التي تهم دارس الثقافة المادية كيف يبنى الرجال والنساء في المجتمعات التقليدية بيوتهم ويصنعون ملابسهم، وقد أصبحت من المسائل التي تشغل اهتمام دارس الفنون الشعبية خاصة من سوسيولوجي، دراسة العلاقة بين المبدع الفرد، سواء أكان فنانا متجولا أو مقيما أو كان صانعا حرفيا"[1]. ومن هنا نستنتج أن الثقافة تشمل كل ما هو غير مادي، بما جسدها الإنسان من خلال آرائه وأفكاره ومشاعره، كما تتضمن الفنون الشعبية من غناء ورقص وموسيقى وتتناقل جيلا عن جيل، وهذا ما أدى إلى تشكيل التراث الشعبي.

[1] محمد الجوهري : مقدمة في دراسة التراث الشعبي، ص46.

4.خصائص التراث الشعبي:

يمثل التراث الشعبي حلقة هامة، في الذاكرة الثقافية للشعوب الحاضنة للقيم الحضارية للأمة، بإبداعاتها الماضية المدونة التي تحفظها من الذوبان والتفسخ، وهذا ما جعله يكتسب خصائص ميزته بهذه السمات. ومنها:

_ الأصالة:

فالتراث الشعبي مرتبط بكل ما هو متجدر بالقدم، فأي شعب إن لم يكن له ماضٍ لا يكون له مستقبل " والتراث واحد من تلك الجذور القومية، التي ترتكز عليها كل أمة، وهذا ما جعلها تتميز بأصالتها وعراقتها"[1]، ومنه نفهم أن التراث هو البنيان الأساس الذي تقوم عليه الأمة ولا يمكن استئصاله، لأنه المنبع الذي يحفظ تاريخ الأجداد.

_ مجهولية المؤلف:

من المعلوم أنّ التراث ليس له مؤلف معروف، بل يصدر عن عامة الناس، " ومهما يكن من أمر انطواء المؤلف في الشعب والخلط بين المنشئ والمنشد فإن عبقريات فردية قد ألفت هذا الأدب، ولكن الذي جعل الاهتمام بالنص يفوق الاهتمام بمبدعه، إنما هو الوظيفة الحيوية التي يحققها"[2]، ونلاحظ هنا أن التراث الشعبي لم يهتم بالفرد المبدع، بقدر اهتمامه بإبداعاته. وبهذا أطلق عليه صفة مجهولية المؤلف " فعرف بأنه الأدب المجهول المؤلف، العامي اللغة

---

(1) علي عشري زايد: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1997، ص138.

(2) عبد الحميد يونس: دفاع عن الفولكلور، د ط، د ت، ص132.

المتوارث جيلا بعد جيل بالرواية الشفوية"[1]، أي أنّ هذا النوع من الأدب ليس لـه قائل معين لأنه يتوارث شفاهة وبلهجة عامية وليس له مدونة.

ـ إبداع جماعي:

بمعنى أنّ الجماعة هي التي ساهمت في تكوين التراث الشعبي، وتكفّلت بنقله إلى الأجيال ذلك أنّ " النتاج الشعبي في حقيقته إبداع جماعي قد يكون مبدعه الأول فردا، وقد يكون نتيجة لحادثة وقعت فعلا ولكنه لا يظل كذلك، إذا ما يلبث أن يصبح ملكا للجميع يتناقلونه، ويضيفون إليه، بل يبدعونه ثانية، حتى يبدو في أصله غير الحقيقي"[2]، ويدل هذا على أن التراث صادر عن الجماعة الشعبية التي تؤثر فيه، والذي يعبر عن ذواتها ورؤاها الخاصة.

ـ المشافهة:

المقوّم الأساس للتراث الشعبي، هو كونه شفاهيا وهذا واضح على سطح تداوله، وروايته وحفظه عن طريق المشافهة. فأمّا " إذا سجل أو دوّن فمعنى ذلك أن النص المدون وثيقة تحقق فترة تسجيله وتدوينه ولا تاريخ إبداعه"[3]، وهنا تبرز سمة الشفاهة في التراث الشعبي من خلال النصوص الأدبية دون اعتمادهم على التدوين والكتابة.

(1) حسين نصار: الشعر الشعبي العربي، منشورات اقرأ، بيروت، لبنان، ط2، 1980، ص11.

(2) أحمد زياد محبك : من تراثنا الشعبي _ دراسة تحليلية للحكاية الشعبية_، ص15.

(3) المرجع نفسه، ص130.

_ الاستمرارية:

يبقى التراث الشعبي مستمرا، لا يزول ولا يتلاشى مع مرور الزمن، ليتجدد عبر الأزمنة المختلفة، " فهذا التراث مما يتمتع به من مرونة وقدرة على إعادة التكيف مع ظرف إنساني جديد، يستطيع أن يحفظ، ويبقى على بعض عناصره ويحقق لها الاستمرار "[1]، فهو ذاك الحبل المتين الذي يربط مختلف العناصر المكونة للذاكرة الشعبية ، بل يبقى مستمرا ويتأقلم مع كل الظروف، ومع أي فرد، إذ " لا يمكن لنتاج شعبي أن يموت، فهو مستمر دائما، ولكن في أشكال جديدة مختلفة، ويكفي للمرء أن يذكر النكتة، التي هي حية دائما، والتي هي دائما دليل الحياة"[2]، فما ينتجه الشعب لا يفنى، بل يبقى حيا ويظهر في حلة جديدة، كما يبقى راسخا في أذهان الجماعات الشعبية.

_ عفويته وشموليته:

فهو تلقائي بسيط، ليس به تصنّع أو مبالغات، يضم العام والكل، " فهو موقف عفوي يصدر فورا، من غير تخطيط ولا دراسة، ولكنه موقف أصيل، يحمل الفكرة والانفعال معا ويمثل شعورا جمعيا، وهذا ما يضمن له سرعة الانتشار والقبول، فيحقق بذلك الشمول"[3] ، فالتراث لا يقوم على خطة مدبرة، ولا على منهج متبع، بل يأتي صدفة، لكنه يحمل قيما شعبية، وهذا ما جعله محط أنظار الجماعات.

---

(1) سعيد المصري: إعادة إنتاج التراث الشعبي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2012، ص12.

(2) أحمد زياد محبك: من تراثنا الشعبي _ دراسة تحليلية للحكاية الشعبية، ص16.

(3) المرجع نفسه، ص15.

_ تعبير عفوي:

بمعنى أنه يظهر في شكل تعبير عفوي بسيط، سهل، لين، وبلغة عامية " فهو مؤقت ومتغير وليس ذا شكل وقالب ثابت، وهو متجدد دائما، تموت فيه أشكال، وتولد أشكال"[1]، وهذا راجع لكونه يحمل مضامين ودلالات تتغير وتتحول من بنية إلى أخرى، فهو ليس بدائم.

_ التعبير عن وجدان الأمة:

لاشك أن التراث يكتسب لونا من القداسة في النفوس من خلال الانغماس في ذوات الشعوب، فيعبّر عن مشاعرها وأحاسيسها، لما له من حضور دائم في وجدان الناس، فهو منّا ونحن منه " وهو يكتشف خلجات الشعوب النفسية واهتماماتهم الروحية، بعد أن كانت محجوبة عنا"[2]، فالتراث يستطيع الكشف عما بداخل الإنسان ويعبر عن مبادئه ومقوماته.

_ الذاكرة والحفظ:

التراث يحفظ لنا كل ما ورث عن الأجداد، إذ " لا خلاف على أن الذاكرة الشعبية الجماعية في ما حفظته لنا هذا التراث المتواتر منذ طفولة البشرية الأولى"[3] ويظهر لنا أن الذاكرة الجماعية، هي المسؤولة عن حفظ هذا التراث، وحمايته من الضياع، منذ العهود القديمة وإلى يومنا هذا.

---

[1] أحمد زياد محبك: من تراثنا الشعبي _ دراسة تحليلية للحكاية الشعبية ، ص15.

[2] نبيلة ابراهيم : أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص03.

[3] شوقي عبد الحكيم: الرجل والمرأة في التراث الشعبي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة ، 2012، دط، ص10.

_ المحاكاة:

وفي الحقيقة إنّ التراث الشعبي يحاكي الواقع الإنساني " ومن هنا كان الانتشار الشديد لعادة أو شعيرة للحفظ والتحفيظ، والاعتماد على الذاكرة، الذي لم يتوقف _ تواتره_ إلى اليوم في مناهجنا الكتاتيبية المتوارثة"[1]، وهنا يتضح لنا أن المحاكاة تعدّ إحدى السمات التي يتمتع بها التراث الشعبي.

وفي آخر المطاف نستنتج أن التراث الشعبي يمثل أسّا في الصنافة الشعبية، إذ يسجل أهم المنعطفات الاجتماعية والدينية والتاريخية في حياة الشعوب. وهذا ما جعله يتسم بالمرونة والحيوية التي تجعله قادرا على الاستمرار.

[1] شوقي عبد الحكيم: الرجل والمرأة في التراث الشعبي، ص11.

5.أهمية التراث:

يحتل التراث مكانة هامة في حياتنا، لما له من رابط عجيب في زيادة التماسك الاجتماعي، فهو علامة مميزة وفارقة في حياة كل شعب، بحيث يتميز به عن باقي الشعوب الأخرى، وبه تتشكل هويته الخاصة، كما يساهم في تعزيز الروابط بين الماضي والحاضر والمستقبل، ويساعد على استمرارية المجتمعات، وزيادة تماسكها، وهو سبيل الدراسة ومعرفة تاريخ الأمم السابقة والتي تتضمن جوانب حياتها المختلفة، وتتمثل أهميته فيما يلي:

– يعتبر المكون الأساسي للحضارة وغير قابل للهدم والإقصاء "ومن الواضح _ أيضا وهذا من البديهيات الممهورة بالسذاجة_ أن للماضي حضورا حتميا، لا تستطيع أية ثورة أن تنفيه_ لأنه أرسخ من "الأهرام" وأكثر سموقا واستعصاء على الهدم _ وأبرز شاهد على ذلك هو اللغة، وغير خافٍ " أن الشاعر الحديث لا يريد أن ينكر اللغة، وإلا لم يكن شاعرا عربيا_ بكل ما يحمله هذا الوصف من مميزات لغوية _ ولكنه إنما يعني التحول بها، إلى مستوى يحقق ذاتيته، ويطبع على تاريخ اللغة ختمه ويفرده بدور يبدو فيه وجوده معلما شاهقا في تيار الزمن"[1].

– كما يعتبر الحافظ الذي يقف ضد تشويه تاريخ الأمم و" لطالما كان تراث الأمم ركيزة أساسية من ركائز هويتها الثقافية وعنوان اعتزازها بذاتيتها الحضارية في تاريخها وحاضرها"[2].

---

(1) إحسان عباس: اتجاهات الشعر العربي المعاصر، سلسلة عالم المعرفة، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط3، 2001، ص11.

(2) بشير خلف: التراث والهوية... التماهي والتكامل، http://mahewar.org، 12 أفريل 2021، 11:00 am، ص1.

– له وجود في كل زمان ومكان " فأصبح بذلك التراث هنا طلوبا ليس فقط من أجل الارتكاز عليه والقفز إلى المستقبل، بل أيضا بالدرجة الأولى من أجل تدعيم الحاضر ومن أجل تأكيد الوجود وإثبات الذات"[1].

– هو قطعة عزيزة من التاريخ، ودعامة من دعامات وجودنا، وعليه " إن مصطلح التراث الشعبي مصطلح شامل لنعني به عالما متشابكا من الموروث الحضاري والبقايا السلوكية والقولية التي بقيت عبر التاريخ"[2].

– يمثل التراث جسرا للتواصل حيث " يربط حاضر الأمة بماضيها ويعزز حضورها في الساحة الثقافية العالمية"[3].

– له تجذر واستمرارية في نفوس الأفراد " لما له من حضور حي ودائم في وجدان الأمة"[4].

– كما يعتبر همزة وصل بين حاضر الأمة وماضيها " وعليه فإن التراث لما يتضمنه من عناصر، بعمل على ربط الماضي بالحاضر، فهو الوسيط الذي ينقل مخلفات الأجيال الماضية إلى الأجيال اللاحقة"[5].

– له أهمية كبيرة في بناء الهوية وتميزها عن غيرها، بما يحتويه من فكر ومعرفة وحضارة، أنتجتها عقول الأجداد على مر العصور، " التراث الشعبي مهم جدا عند الأمم لأنه

---

[1] محمد عابد الجابري: التراث والحداثة، دراسات ومناقشات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1991، ص27.

[2] فاروق خورشيد: الموروث الشعبي، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط1، 1992، ص12.

[3] بشير خلف: التراث والهوية... التماهي والتكامل http://mahewar.org، 12 أفريل 2021، 11:00 am، ص2.

[4] علي عشري زايد: توظيف التراث العربي في شعرنا المعاصر، فصول، 2012، ص204.

[5] تأليف جماعي: الموروث الشعبي والهوية الوطنية، مخبر حوار الحضارات والتنوع الثقافي وفلسفة السلم، الجزائر، د ط، 2014، ص13.

يمثل ماضيها الذي لا يستطيع الاستغناء عنه كما أنه يساعدها على بناء حاضرها بنقله ما قدمته الأسلاف"[1].

– مما لاشك فيه أنه يمثل المخزون المعرفي لأي حضارة " فهو الهوية الثقافية للأمة، والتي من دونها تضمحل وتتفكك داخليا"[2].

وخلاصة القول فللتراث دور كبير في حفظ هوية الأمة ومقدساتها الشعبية من التلف والزيف والزوال؛ إذ أصبح محط اهتمام المستشرقين والباحثين، وهذا ما دفعهم إلى تأليف كتب ودراسات تناولت مضامينه، باعتباره الوعاء الذي تستمد منه الشعوب معتقداتها وتقاليدها وقيمها ولغتها وأفكارها وطقوسها، وكل ما يتعلق بجوانب الحياة المختلفة، فهو صمام الأمان في حفظ الموروث الشعبي الإنساني، ورصيد ثري يسهم في تطور المجتمعات مع محافظتها على القيم الروحية والانسانية والدينية والاجتماعية التي تربط أفراد المجتمع المحلي.

---

(1) تأليف جماعي: الموروث الشعبي والهوية الوطنية، ص13.

(2) أكرم ضياء العمري: "التراث والمعاصرة، تر: عمر عبيد حسنة، كتاب الأمة، ط1، قطر ، ص35.

6. بواعث توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة:

يساهم التراث بشكل كبير في منح النصوص الأدبية قيمتها الجمالية، وهذا نتيجة توظيفه داخل هذه النصوص، هذا ما جعلنا نقف على الغموض الذي أدى إلى تشكيل الدوافع والأسباب والبواعث التي جعلت الروائي يوظف هذا العنصر داخل الروايات، ومن هذه البواعث نجد:

1.6. البواعث الواقعية:

لقد كان لأحداث حزيران وقع كبير في نفسية الأدباء والمثقفين بصفة عامة، فـ" حرب حزيران 1967 وما تمخض عنها، أدت إلى نتائج سلبية وخيبة أمل كبيرة حفرت في وجدان أبناء الأمة العربية، وخاصة فئة المثقفين الذين أدركوا أن الهزيمة كانت عسكرية وحضارية. ولمحوا آثارها، والنهوض من جديد تطلب الأمر إعادة التفكير في البنى الفكرية والاجتماعية والسياسية... وبعد حرب حزيران تيقنوا أن العودة للجذور ضرورية لمساءلة الذات، من خلال مساءلة الماضي، والوقوف على الهوية الخاصة، فالرواية العربية استجابت لذلك لأنها مظهر ثقافي، كما استجابت بقية الأجناس الأدبية الأخرى كالشعر والمسرح... فالحرب فرضت العودة إلى التراث، وهذا التوجه يتميز بخصوصية لم تكن معروفة من قبل"(1).

يترآى لنا من خلال هذا الطرح أن نكبة حزيران، كان لها أثر كبير في تغيير مسار الرواية العربية المعاصرة، وهذا بعد إضفاء قوالب جديدة عليها، تمثلت في توظيف التراث في السرد الروائي.

---

(1) محمد رياض وتار: توظيف التراث في الرواية العربية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002، ص11.

2.6. البواعث الفنية:

شكلت طبيعة العلاقة بين الرواية العربية والغربية "أحد الأسباب التي أدت بالروائيين في العقود الثلاثة الأخيرة، إلى توظيف التراث كما مرّ معنا، وترافق تراجع الرواية الغربية، بوصفها مثالا أعلى بالنسبة للرواية العربية، وظهرت روايات تنتمي لأمريكا اللاتينية واليابان وغيرها تميزت بشكل فني مغاير للرواية الغربية، ورواية أمريكا اللاتينية تميل للغرابة والعجائبية ورصد عادات الشعب وتراثه، وتوظيف التراث الإنساني، فحكايات ألف ليلة وليلة أثرت في أدب أمريكا اللاتينية مثل غابرييل ماركيز، وهذا ما دفع الروائيين العرب لإعادة قراءة التراث"[1]، وعليه فإننا نجد أنّ الرواية العربية استطاعت الغوص والتغلغل في أعماق البيئة المحلية، باستلهامها للتراث المحلّي والإنساني، فأدى ذلك إلى نضجها من جهة ، وفتح آفاق جديدة أمامها. فضلا عن تأثر الروائيين الغربيين بهذا الموروث.

3.6. الحركة الثقافية:

مهّد لظاهرة توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة "ما بذله بعض النقاد والباحثين من جهود للعودة بالرواية العربية إلى الأصول التراثية، بدلا من ربطها بالرواية الغربية، لأن كتب التراث تنطوي على ألوان كثيرة من القصص الديني، البطولي المقامات، الفلسفي... وقطعوا صلة الرواية العربية بالغربية، ونسبوها لهذه الأشكال القصصية والسردية الموجودة في كتب التراث، وتوقف الباحث عبد الله أبو هيف في كتاب "الرواية العربية وعنصر التجمع" لفاروق خورشيد، ودقّق في منابع الرواية العربية مطمئنا بوجود فن روائي عربي ضارب في عمق التاريخ مثل: قصص الجنوب حول ملوك اليمن الحميريين وغزواتهم وفتوحاتهم، وقصص الفتوة قبل الإسلام، وقصص الأنبياء في كتب التاريخ والتفسير"[2]. ومما لاشك فيه أن الحركة

[1] محمد رياض وتار: توظيف التراث في الرواية العربية، المرجع السابق، ص11.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 11.

الثقافية كان لها دور كبير، في تطوير مسار التراث السردي في الرواية وهذا راجع إلى تناولها لمختلف الألوان التراثية ذات في مجمل الإبداعات الروائية.

الفصل الثاني:

التراث الشعبي الجزائري في رواية "وادي الحناء" لجميلة طلباوي

الفصل الثاني: التراث الشعبي الجزائري في رواية وادي الحناء لجميلة طلباوي

أولا: المعتقدات والمعارف الشعبية

1. الزردة
2. الولي الصالح
3. الطب الشعبي
4. السحر

ثانيا: العادات والتقاليد الشعبية

1. مراسيم الزواج
2. مراسيم الوفاة
3. السبوع
4. عاشوراء

ثالثا: الأدب الشعبي

1. المثل الشعبي
2. الحكمة
3. الشعر الشعبي
4. الأغنية الشعبية
5. اللهجة العامية

رابعا: الثقافة المادية والفنون الشعبية

1. الطبخ الشعبي
   - أ. الرقاق
   - ب. الكسكس
   - ج. البغرير
2. اللباس الشعبي
   - أ. الملحفة
   - ب. العباية
   - ج. الحايك
   - د. العمامة
3. أدوات الزينة
4. العمارة الشعبية
   - أ. الزوايا
   - ب. القصر
5. الأثاث الشعبي
   - أ. الزربية
   - ب. الهيدورة

يعد التراث الشعبي السجل الثقافي الحافل بتجارب الإنسان ومعتقداته وطقوسه، والرصيد الأدبي الذي يعطي للأمكنة هويتها، ومن خلال قراءتنا للرواية نلاحظ بروز التراث الشعبي في رواية " وادي الحناء" لجميلة طلباوي، بصورة واضحة وبكثافة عالية، فهي استطاعت أن تصوّر لنا البيئة الصحراوية الجزائرية، من خلال مدينة "أدرار" في طابعها الشعبي، وما تتميز به مدينة من معتقدات شعبية وفنون وعادات وتقاليد من خلال توظيفها لهذا الإرث الشعبي داخل روايتها.

أولا: المعتقدات والمعارف الشعبية:

وظفت الروائية جميلة طلباوي في روايتها " وادي الحنّاء" العديد من المعتقدات الشعبية التي يمارسها المجتمع البدوي الصحراوي في مدينة "أدرار"، والتي مثلت إحدى معتقداته التي يؤمن بها ويمارس طقوسها منها: الزردة والإيمان بالأولياء الصالحين، والسحر والطب الشعبي.

1. الزردة:

يطلق على الزردة عدة تسميات منها: الوعدة، والوليمة، وهي ظاهرة اجتماعية طقوسية جزائرية، تنتشر بشكل كثيف وتقام بالأساس حول أضرحة الأولياء الصالحين والزوايا، وهي مظهر اجتماعي يصور حياة مجتمع الجنوب الجزائري، وهي في عرفنا " طعام يتخذ على ذبائح من بهيمة الأنعام عند مزارات، من يعتقد صلاحهم. ولها وقتان أحدهما في فصل الخريف عند الاستعداد للحرث والآخر في فصل الربيع عند رجاء الغلة والغرض منها التقرب من ذلك الصالح كي يغيثهم بالأمطار سعيا للحرث أو حفظا للغلة" [1]. وهكذا يتضح لنا أن الزردة لها مناسبات خاصة تقام لها، منها مناسبة النجاح أو حفل الزفاف أو ازدياد مولود، كما لها وقت محدد لذلك.

[1] مبارك بن محمد الميلي: رسالة الشرك ومظاهره، دار البحث، قسنطينة، ط3، 1982، ص238.

وقد ذكرت لنا جميلة طلباوي في الرواية أن الحاج جلول أقام وليمة كبيرة، وقد حضر لها كل أهل سكان القصر وهذا بمناسبة مغادرته للقرية وعودته إلى مدينته التيمي" غادرت لالة مريم قريتها بعد وليمة وداع دعا إليها الحاج جلول كل سكان القصر، ولم يبخل عليهم بالذبائح وأشهى المأكولات، ثم شدّ الرحال إلى مدينة تيمي رفقة عروسه الشابة الفاتنة الجمال والتي لم يسبق لها أن زارتها، رغم أنها سمعت الكثير عن جمالها، وعن طرقاتها المعبّدة وعن بناياتها الإسمنتية التي تختلف عن مساكن الطين في قريتهم"[1]، فكانت هذه الوليمة وليمة وداع، حيث شارك فيها كل سكان القصر، وهذه المناسبة أقيمت بسبب مغادرة الحاج جلول القرية مع عروسه مريم، التي بدورها ستترك أهلها وقريتها متجهة إلى مدينة تيمي، المكان الذي يقطن فيه زوجها الحاج جلول.

2. زيارة الضريح أو الولي الصالح:

تعدّ زيارة الولي الصالح من أبرز المعتقدات الشعبية التي مارسها الإنسان الجزائري، في طقوسه، باعتباره يمثل جزءا مهما من هوية وثقافة المجتمع، و "الولي هو العارف بالله وبصفاته، المواظب على الطاعات، المجتنب للمعاصي، المُعَرض عن الانهماك في اللذات والشهوات المباحة، المحافظ على السنن والآداب الشرعية، وسمي وليا لأنه يتولى عبادة الله على الدوام، أو لأنه الله تولاه بلطفه وعنايته، إنه الشخص التقي الصالح الذي يحظى في حياته وحتى بعد مماته بتقديم واحترام الناس، ويكون من أصحاب الدين والعلم والزهد والعمل الصالح"[2].

---

[1] جميلة طلباوي: وادي الحناء، ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2018، ص47.

[2] نفيسة دويدة: المعتقدات والطقوس الخاصة بالأضرحة في الجزائر خلال الفترة العثمانية http://do.org/10.4000/insaniyat.15081/ ، 05/16/ 2021، 10:05، ص2.

ونجد هذا الطقس الديني في الرواية، حيث أقام أهل الصحراء حفلا كبيرا بمناسبة موسم زيارة الضريح، فأقيمت له الولائم، وحلقات الذكر، والأغانٍ الشعبية وفي جو شعبي بهيج، ويتّضح هذا في قول الروائية: " قاده القدر في أحد أيام الربيع إلى إحدى الواحات البعيدة عن تيمي، كان أهلها يحتفلون بموسم الزيارة لضريح أحد أولياء الله الصالحين، أين تقام الولائم وتتعالى الأصوات بترتيل القرآن الكريم، تقام حلقات الذكر بعد العصر وإلى وقت متأخر من الليل، أما نهارا فيجتمع الناس في الساحة الواسعة للاستمتاع بأنغام الشلالي وإيقاع البارود، فلا يسمع إلاّ صوت فرقة "سارة" الفولكلورية والضرب على الدف وعلى قرقابو لتتناهى إلى السامع أصوات الراقصين تمدح الرسول الكريم بأنغام شعبية تضع بهجة الواحة الجميلة"[1]، يبرز هنا أن الروائية صورت لنا كل الأجواء التي يعيشها أهل الصحراء في احتفالهم بالولي الصالح ومراسيم أقيمت من أجل هذا اليوم المميز، من خلال تقديم أنواع المأكولات والولائم، ومختلف أنواع الأغاني، واجتماع الناس من كل حدب وصوب للاحتفال بهذا الصرح الديني العظيم.

3. الطب الشعبي:

يعتبر الطب الشعبي أحد الطقوس الشعبية التي مارسها الإنسان منذ القديم، والتي لم يستطع الاستغناء عنها، وهذا من خلال استخدامه للأعشاب الطبية، من أجل معالجة الأمراض، وعليه فإن " الطب الشعبي جزء من المعارف الشعبية التي تكونت عبر أزمنة طويلة، واستمر ارتباطها بظروف اجتماعية، وهو نوع من التداوي يقوم به محترفين، وغير محترفين يستخدمون النباتات وبعض أجزاء من الحيوانات والدهانات"[2]، وعليه فإن الطب الشعبي كان له أهمية كبيرة في حياة الإنسان البدائي باعتباره الخيار الوحيد للشفاء من العلل والأسقام.

---

[1] جميلة طلباوي: وادي الحناء، ص22.

[2] عبد الفتاح محمد المشهداني: الطب الشعبي والطب العلمي، دراسة وصفية تحليلية، مجلة دراسات موصيلية، العدد 34، 2011، ص13.

وتنقل لنا الروائية جميلة طلباوي لجوء لالة مريم بعد معاناتها من المرض، إلى هذا النوع من الطب لمعالجة مرضها عن طريق الأعشاب، بحيث نجد ذلك في الرواية " عضت والدتي على شفتها وهي تحاول أن تحبس دمعة فلتت من عينها، فعادت لتحضنني مرة أخرى وهي تؤكد لي بأن الأمر لا يقلق وبأن الدارُقية تحضر لها وصفات فعالة من الأعشاب"[1]، الصدمة التي تلقتها عويشة بعد أن عرفت خبر مرض أمها لالة مريم وشعورها بالحزن لسماعها هذا الخبر المؤلم غير أن والدتها لالة مريم هدأت من روعها، وأكدت لها أنها تتلقى العلاج من خلال التداوي بالأعشاب.

ذهاب عويشة إلى قصر لالة حليمة وإخبارها بمرض أمها، والخطة التي قامت بها لالة حليمة لدعوة والدة عويشة لم تكن من أجل تناول وجبة الغداء فقط، بل كانت الغاية من ورائها هي الكشف على صحتها وعن مرضها، وهذا ما يتجلى في الرواية " الطبيبة ريم تأخذ على عاتقها مهمة الكشف على زوجة سيد الشيخ وبناته. كانت معروفة بمهارتها وبحكمتها، هي أيضا حفظت القرآن منذ أن قدمت من مدينة تلمسان هي وزوجها ووجدت الحضن الحنون في لالة حليمة التزمت بأن تكون طبيبتها الخاصة، خاصة وأن غالبية النسوة في تيمي في تلك الفترة كن يعتمدن على العلاج التقليدي بالأعشاب والوصفات التقليدية"[2]، ونجد من خلال هذا أن نساء تيمي تستعنّ بالوصفات التقليدية والأعشاب الطبية، من أجل التداوي مثلها مثل لالة مريم، غير أن الطبيبة ريم كانت الوحيدة في تيمي التي تعتمد على الطب الحديث بدل الطب البديل، وهي التي تكشف عن حقيقة مرض والدة عويشة.

---

[1] الرواية، ص118.

[2] المصدر نفسه، ص124.

4. السحر:

من أبرز المعتقدات الشعبية التي يمارسها الإنسان من أجل تحقيق غايته نجد السحر الذي هو " اتفاق بين الساحر والشيطان على أن يقوم الساحر ببعض المحرمات، والشركيات في مقابل مساعدة الشيطان له وطاعته، فيما يطلب منه"[1].

فالسحر يدل على الشرك بالله واتباع طريق الشيطان، لتحقيق بعض المطامح من أجل الوصول إلى هدف معين، كتهديم حياة الإنسان، والتفريق بين الأزواج...

ويتجسد السحر في الرواية من خلال مرض لالة مريم واتهامها لربائبها بسحرهم لها، بسبب كرههم لها " فهمت بعد ذلك بأن الأوان قد فات، وبأن والدتي تأخرت كثيرا في العلاج، أو أن الدارقية أخرتها بوصفاتها التقليدية وبادعائها بأن الورم كان نتيجة سحر، المرض الخبيث قد انتشر في كامل جسدها"[2]، فالشكوك التي كانت تراود لالة مريم بأن هذا المرض عبارة عن سحر، أدى إلى تطوره عبر مراحل، وتحوّل بذلك إلى ورم وإلى مرض خبيث أدى إلى انتشاره في كامل جسدها، مما جعلها تستدعي الدراقية لمعالجتها بوصفات تقليدية.

---

[1] وحيد بن عبد السلام بالي: الصارم البتار في التحدي للسحرة الأشرار، مكتبة الصحابية، جدة، ط3، 1992، ص17.

[2] الرواية، ص131.

ثانيا: العادات والتقاليد الشعبية

ترتكز العادات والتقاليد على الموروث الثقافي الشعبي الذي ينبع من أصالة المجتمع وتمتد قيمته الإنسانية في أعماقه، ويقتبس منها ذلك المجتمع المقومات السياسية للأسس المكونة لهوية الدينية بصفة عامة، وقد تميزت مدينة أدرار الصحراوية بعاداتها وتقاليدها العربية الأصيلة، الملتزمة بالأخلاق والقيم الدينية، وقد وظفت الروائية العادات والتقاليد التي تزخر بها مدينة تيمي من عادات تتمثل في الزواج والأعياد والمناسبات الأخرى.

1. مراسيم الزواج:

يعد الزواج رابطة اجتماعية من أهم روابط المجتمع يبنى على الألفة والمحبة والتعاطف يمثل مرحلة انتقالية من العزوبية إلى الزواج، وهو " الوسيلة المنظمة الدقيقة لإنجاب الأولاد وزيادة النسل، حفاظا على استمرار النوع البشري مع الحفاظ على الأنساب"[1]، وعليه فإن الزواج يبقي على استمرار الجنس البشري، فالأديان دعت إلى احترام هذه الرابطة الإنسانية وهو مهم للرجل كما للمرأة، كي يكملا احتياجاتهما العاطفية والنفسية.

كما رصدت لنا الروائية جميلة طلباوي مراسيم الزواج في مدينة تيمي بمنطقة أدرار، ونقلت لنا حفل زفاف لالة سعدية إلى بيت زوجها الحاج جلول " لتصير بذلك الزوجة الثالثة التي أنجبت له ذكرا وحيدا ليصبح بذلك عدد أبنائه سبع بنات وسبع ذكور"[2].

الحاج جلول طبق الشرع، وهذا بعد زواجه بلالة سعدية وإقامة حفل زفاف، لتصير بذلك الزوجة الثالثة، وتشاركه الحياة الزوجية ليستكين العيش بينهم.

---

[1] محمد أبو حسان: المرأة والأسرة بيت الإسلام والنظم الغربية، جمعية العفاف الخيرية، عمان، الأردن، د ط، 2000، ص29.

[2] الرواية، ص28.

كما ذكرت لنا الروائية أيضا زواج الحاج جلول من لالة مريم، حيث أقيم لها عرس وأغدقها بالهدايا والعطايا، لتكون الزوجة الرابعة للحاج جلول، وتذكر ذلك في الرواية " تزوجت مريم بنت الجزار أبا أحمد من الحاج جلول الذي دفع مهرها مالا كثيرا وأغدق العطايا على أهلها وأقيم العرس البهيج، واستقرت في السكن الجديد الذي اشتراه الحاج جلول نزولا عند رغبة والدها"[1].

لقد كانت لالة مريم محظوظة بزواجها من الحاج جلول، فقد كان شديد الكرم لزوجته وأهلها، كما لبّى جميع رغباتها حتى رغبة والدها في استقرارها بالقرب من أهلها خارج مدينة تيمي.

2. مراسيم الوفاة:

الموت كأس يتذوقه كل مخلوق على وجه الأرض، وهي مرحلة ينتقل فيها الإنسان من دار الفناء إلى دار البقاء، وقد جعلتنا الروائية جميلة طلباوي نشعر بالألم والحزن إثر وفاة لالة مريم والدة عويشة بعد نقلها لها مراسيم الوفاة، فتقول: " جنازة والدتي لم تكن أقل من جنازة والدي سلطان الغرام حضرها أعيان تيمي وأشرافها وأهلها من أحب سلطان الغرام سارع للمشاركة في جنازة زوجته وحبيبته"[2]، فجنازة لالة مريم كانت مكتظة بالناس مثل جنازة زوجها وهذا للمكانة المرموقة التي حظي بها سلطان الغرام وأهله.

---

[1] الرواية، ص28.

[2] المصدر نفسه، ص131.

3. السبوع:

السبوع من العادات والتقاليد الجزائرية، ومازالت إلى يومنا هذا يحافظ عليه، وهو الاحتفال بالمولود الجديد بعد مرور سبعة أيام من ولادته، ترحيبا واحتفالا وفرحا به، ونجد الروائية جميلة طلباوي تسرد لنا الاحتفال الذي أقيم بالقصر بمناسبة ازدياد حفيدة سيدي الشيخ، وكان حفلا فخما" ويوم الاحتفال بالعقيقة أو "السبوع" كما يحلو لنا أن نسميه، وضعت الموائد في القصر وفي الزاوية وحتى في بعض الطرقات لإطعام الناس كانت أطباق الكسكسي الشهية عليها قطع اللحم المشوي ديكور تلك الموائد التي اجتمع حولها أقارب سيدي الشيخ وأعيان المدينة وطلبة العلم في الزاوية والسكان، وأذكر أنه كان أكبر احتفال بعقيقة في مدينة تيمي ومما زاد الحفل ابتهاجا وجمالا، خروج فرقة "سارة" ببنادقهم يلوحون بها ويرقصون ثم يطلقون البارود، وكلما مروا ببيت إلا وقدم لهم الدقيق والسكر مقابل البهجة التي أحدثوها في المدينة فرحة بالحدث الجميل ميلاد حفيدة لسيدي الشيخ"[1].

ويتضح لنا أن أهالي مدينة تيمي شهدوا حفلا أقامه سيدي الشيخ، وقد تميز هذا الحفل بالذبائح والأكل الشهي، والبارود والأغاني والأهازيج الشعبية، فهذه العقيقة الذي أقيمت كانت بمثابة فداء لسلامة البنت وطول عمرها وفرحا بها.

4. عاشوراء:

عاشوراء مناسبة دينية إسلامية يحتفل بها الجزائريون في كل عام، في اليوم العاشر من محرم، احتفالا بنجاة نبي الله موسى عليه السلام من طغيان فرعون وغرقه، والروائية جميلة طلباوي تروي لنا الاستعدادات التي يقوم بها أهل القصر في مدينة تيمي للاحتفال بهذه المناسبة الدينية فتقول: " كان سكان تيمي في تلك الفترة يستعدون لإحياء عاشوراء، يحضرون الفول

---

[1] الرواية، ص176.

المسلوق ويوزعونه على الأقارب والجيران، كما تجتمع النسوة لفتل المردود، وهو نوع من الكسكس، بحبات أكبر لا تحلو الاحتفالات بعاشوراء إلا به"[1]، وهنا يتضح لنا أن مدينة تيمي كغيرها من المدن الصحراوية تحتفل بهذه المناسبة وتعظّمها، كما لها احتفال خاص بها كتحضير الأكلات التقليدية التي تتصدر المائدة فلا تحلو المناسبة إلا بتحضيرها، كما لا ننسى الفول المسلوق الذي يوزع على الأهالي في هذا اليوم.

ثالثا: الأدب الشعبي:

حظي الأدب الشعبي باهتمام كبير وعناية من قبل الروائيين، حيث نجدهم يوظفونه بكثرة في نصوصهم الأدبية وهذا بصفته يمثل المرآة العاكسة للمجتمعات، لما له من بساطة في الطرح وبلاغة في الإقناع، وهذا ما نجده عند الروائية جميلة طلباوي التي وظفت الأدب الشعبي في روايتها، والتي تمثلت في الأمثال الشعبية والحكم والأغاني واللهجة العامية.

1. المثل الشعبي:

عرفت البيئة العربية حضورا قويا للمثل الشعبي في الحياة اليومية، فأصبحت الألسنة تتداوله باعتباره يحمل معارف وخبرات لكلمة أو جملة، ويذكر في حادثة ما فيصبح سائرا عندما تتكرر حادثة مشابهة للحادثة الأولى.

فالمثل في اللغة هو "الشيء الذي يضرب للشيء فيجعله مثله"[2]، ومعنى هذا تشبيه شيء بشيء نتيجة لوقوع مواقف مماثلة لها.

ونجد المثل في المعجم الوسيط " جملة من القول مقتطعة، من الكلام أو مرسلة بذاتها، تنقل ممن وردت فيه إلى المشابهة بدون تغيير، مثل (الصيف ضيعت اللبن) و(الرائد لا يكذب

---

[1] الرواية، ص112.

[2] أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، ج4، ص118.

أهله) والأسطورة على لسان حيوان أو جماد كأمثال كليلة ودمنة[1]، المثل كلام قصير وموجز يحكى لتشبيه حال أو واقعة بشبيه مر سابقا بلا تخصص، يفصل المجمل ويوضح المبهم.

أما في الاصطلاح، فالأمثال تختلف من جيل إلى جيل ومن مجتمع إلى آخر، حيث نرى أحمد أمين يعرف المثل قائلا: " الأمثال نوع من أنواع الأدب يمتاز بإيجاز اللفظ، وحسن المعنى ولطف التشبيه وجودة الكناية، ولا تكاد تخلو منها أمة من الأمم، ومزية الأمثال أنها تنبع من كل طبقات الشعب، وليست في ذلك كالشعر والنثر الفني، فإنهما لا ينبعان إلا من الطبقة الأرستقراطية، في الأدب، والأمثال كل أمة مصدر هام جدا للمؤرخ الأخلاقي والاجتماعي يستطيع كل منهما أن يعرف كثيرا من أخلاق الأمة وعاداتها وعقليتها ونظرتها للحياة، لأن الأمثال عادة وليدة البيئة التي نشأت عنها"[2].

وهنا يتجلى لنا أن الأمثال تجسد أفكار وتصورات الشعوب وعاداتها وتقاليدها، ومعظم مظاهر حياتها في صورة حية وفي دلالة إنسانية شاملة.

أما نبيلة ابراهيم فتعرّف المثل الشعبي " المثل قول قصير مشبع بالذكاء والحكمة، ولسنا نبالغ إذا قلنا أن كل مثل يصلح أن يكون موضوعا لعمل أدبي كبير، إذا استطاع الكاتب أو الباحث أن يتخذ من المثل بداية، يعايش تجربة المثل ويعبر عنها تعبيرا تحليليا دقيقا"[3] ويظهر لنا أن الأمثال لا تخلو منها أي ثقافة، فهي تعكس مشاعر الأمة على اختلاف طبقاتها وانتماءاتها، كما أنها تتسم بسرعة الانتشار والتداول من جيل إلى جيل، ومن لغة إلى لغة عبر الأزمنة والأمكنة.

وقد استخدمت الروائية جميلة طلباوي الأمثال الشعبية في روايتها بكثافة نذكر منها:

---

(1) ابراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004، ج2، ص854.

(2) أحمد أمين: قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، ص61.

(3) نبيلة ابراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، المرجع السابق، ص98.

_ "دارها ليهم زينهم"[1]، أي يضرب بها المثل عن الجمال بمعنى أنهن كن جميلات لذا كان الخطاب لطلبهن من مختلف الأمصار.

_ " بناتك زريعة الحنة"[2]، ومعنى هذا أن الحناء نبتة تنبت أينما زرعناها وتشبه المرأة بنبتة الحناء لأن قدرها أن تتزوج وتغادر بيت أهلها، أي أنها ستنبت أينما زرعت سواء تزوجت في مدينتها أو مدينة أخرى أو دولة أخرى.

_ " يا ولدي الشعير والراحة والقمح والفضاحة"[3]، المعنى من المثل هو القناعة بمعنى أن الإنسان يرضى بالقليل ويكون مرتاح البال مستورا، خير له من أطنان الأموال، وتكون النتيجة فضيحة وقلة الراحة.

_ "سعيدة بعيدة والماشية غالية"[4]، وهذه الكلمات أخذتها الروائية من أغنية شهيرة أصبحت تضرب كمثل، وهذا تشبيه له بالأسد.

2. الحكمة:

تمثل الحكمة جزءا مهمّا من ثقافة الشعوب، لما لها من دور كبير في تقديم النصائح والإرشادات التي تخص حياة الإنسان.

وردت كلمة الحكمة في معاجم اللغة العربية على أنها " حكم حكمة: صار حكيما. أحكمته التجارب: أي جعلته حكيما. الحكمة: جمع حكم وهو الكلام الموافق للحق، وأحكم الشيء:

---

(1) الرواية، ص41.

(2) المصدر نفسه، ص41.

(3) المصدر نفسه، ص60.

(4) المصدر نفسه، ص150.

أتقنه. واحتكم الأمر: ودق، واستحكم الأمر: تمكن وصار محكما متقنا"[1]، فالحكمة تدل على كلام صادق وعادل يقتدى ويؤخذ به.

ويقول الله تعالى: ﴿ويعلمكم الكتاب والحكمة﴾[البقر/ 151]، ويقصد بالحكمة في هذه الآية الكريمة الموعظة الحسنة.

أما مفهوم الحكمة في الاصطلاح فإنه تعدّد واختلف من دارس وآخر، حيث يعرفها بعضهم على أنها: "إصابة الحق بالعلم والعقل، ومعرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، والعلم والعدل في القضاء، والنبوة، والقرآن، والتوراة، والإنجيل، والتفقه، والعلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه _في الأمر نفسه_ بقدر الطاقة البشرية"[2]، والحكمة هنا تحمل قيما إنسانية وخلقية ودينية واجتماعية، فهي نابعة من صميم المجتمع وليست وليدة الساعة.

بما أن الحنّاء لا تعطينا ذلك اللون الجميل، إلا إذا جففت ثم سحقت سحقا، وهذا ما نجده لدى أبطال الرواية الذين سحقوا سحقا، لكنّهم قاوموا وناضلوا من أجل البقاء، خاصة البطلة عويشة التيماوية، وهنا تكشف لنا الرواية عن جانب من حياة المرأة داخل الزوايا في الجنوب، ويتضح ذلك في قول الروائية " لالة حليمة لم تكن تغادر بيتها حتى للعلاج، كانت الطبيبة تحضر إلى البيت لتكشف عنها ولتقدم لها العلاج اللازم، كانت الطبيبة تقوم بذلك عن طيب خاطر، وهي تدرك أهمية احترام أعراف سكان المدينة، ولمحبتها للالة حليمة السيدة الجليلة.

هذه الوضعية كانت تشترك فيها لالة مريم مع لالة حليمة، فكلتاهما حرمتا من الخروج من البيت، ككل زوجات الرجال الذين لهم مكانة دينية واجتماعية في تيمي، التي تزدان بالزوايا. وهي منارات علم حفظت لتيمي تاريخها وأصالتها، و مراكز إشعاع ثقافي ديني يحفظ التلاميذ

---

[1] لويس معلوف: المنجد في اللغة والاعلام، دار المشرق، بيروت، مجلد1، ط19، 1992، ص183.

[2] أحمد رضا: معجم متن اللغة، موسوعة لغوية حديثة، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، مجلد2، 1958، ص420.

على مشايخها القرآن الكريم، ويدرسون الفقه واللغة العربية الفصحى"[1]، ونلاحظ أن زوجة الشيخ لم تكن تغادر بيتها حتى للعلاج، وكانت الطبيبة تحضر لبيتها، كما لا تحضر للأفراح والمناسبات، يعني من دار والدها لدار زوجها لقبرها كما يقال قديما، وصحيح أنها كانت محط الاحترام والتبجيل وعاشت كالملكة، لكن الملكة سجينة.

وقد كان هنالك نوع من الطبقية داخل قصر سيدي الشيخ، فالخدم ينتمون للطبقة الفقيرة، بينما سيدي الشيخ وأهله ينتمون للطبقة الغنية، ولكن هذا العمل الذي يقومون به كان باختيار هؤلاء الخدم حبا واحتراما للشيخ.

وكان سيدي الشيخ يحضر لبناته أحسن الكتب والمجلات، فقد كنّ يعشن كأميرات لكن ممنوعات من مغادرة القصر، وهذا ما توضحه الرواية " وما هي إلا لحظات حتى انصرفت الخادمات إلى أشغالهن وانصرفت كل حفيدة إلى أمر يخصها، فواصلت المولاة تطريز فستانها أما باقي الحفيدات فانصرفت إلى المجلات التي وصلت في ذلك الصباح من القاهرة ومن الكويت ولبنان"[2].

وكما نجد أيضا في الرواية " أما الحفيدة كلثومة فأسرت في ذات مساء بأن الحب إحساس جميل، استغربت أمرها وهي التي لا تغادر القصر كيف لها أن رأت رجلا، وكيف لها أن عرفت معنى الحب"[3]، فسيدي الشيخ كانت له عادات وتقاليد خاصة، يفرضها على أهله وأهل قصره، فكان محافظا ملتزما.

---

[1] الرواية، ص131.

[2] المصدر نفسه، ص111.

[3] المصدر نفسه، ص113.

3.الشعر الشعبي:

الشعر الشعبي " الشعر الذي يستمد كلماته، وألفاظه، وطريقة أدائه، ومعانيه وأسلوبه من الحياة العامة والشعبية، حيث بكلمات من اللهجة المحكية بين الناس، ولا يستخدم الفصحى، لكن يختار أجمل التوصيفات التي يقولها الناس في كلامهم، ولهجاته المحكية"[1].

وهو يستند إلى الواقع ويجسد الحياة الشعبية، لغته عامية شعبية، يتم إلقاؤه في المناسبات الاحتفالية والتجمعات الشعبية.

وظفت الكاتبة جميلة طلباوي في روايتها "وادي الحناء" الشعر الشعبي في مواقف نبيّنها فيما يلي: " أحسنوا عون العاشق بالجمر مكوي_ نار المحبوب قايدة وش يطفيها"[2]، وتقصد الروائية في هذا البيت الشعري أن لا ملامة على الذي يحب، لأن في قلبه نار تشتعل لا شيء يطفئها.

ونجد أمثلة أخرى عن توظيف الشعر الشعبي في الرواية، من خلال ما ألقته لالة مريم في حفلة بدار سيدي الشيخ الكبيرة مدحت فيه الرسول صلى الله عليه وسلم بمدائح تحفظها نساء تيمي يتمثل في:

" لا إله إلا الله الأولى وفي لساني

محمد رسول الله بها يرجع ميزاني

ونبدا قولي بسم الله الرحمن الرحيم

---

[1] آمنة صامت بوحايك: محاضرات في مقياس الأدب الشعبي العام، كلية الآداب والفنون، قسم الأدب العربي، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، 2020/ 2021، ص3.

[2] الرواية، ص24.

يا رب احفظ لي إيماني"[1].

هذه الأشعار الشعبية تغنيها نساء تيمي، ومن بينهم لالة مريم وهي تدور حول مدح الرسول والإشادة بأخلاقه ومكارمه ودعاء الله.

4.الأغنية الشعبية:

تمثل الأغنية الشعبية فرعا من فروع التراث الشعبي، وتعرف بأنها " قصيدة غنائية، مجهولة النشأة، بمعنى أنها نشأت بين العامة من الناس في أزمنة ماضية، وبقيت متداولة أزمانا طويلة"[2]، فالأغنية الشعبية لها جذور قديمة، تتميز بخصائص منها مجهولية المؤلف المشافهة، تلقى في المناسبات والأفراح.

وقد وردت الأغاني الشعبية في الرواية بكثرة فنجد منها: " بنيتي وريقة حنة وبها قلبي يتهنا"[3]، فقد كانت الأم تدندن بها، وهي تضع الحنة على يد ابنتها احتفالا بالأعياد والمناسبات، إذ تشبّه ابنتها بالحناء في عطفها وحنانها وسعادتها التي تنشرها لمن حولها.

كما نجد أيضا أغنية شعبية في الرواية:

" دانيداني يا دانيأنا

وأنا يا الناس صبحت على اللي نبغيه"[4].

---

(1) الرواية، ص ص98، 99.

(2) أحمد موسى: تراث الموسيقا الشعبية الفلسطينية _ خصائصه ومقوماته وطرق الحفاظ عليه، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، مجلد 33، الرقم1، 2009، ص7.

(3) الرواية، ص 13.

(4) المصدر نفسه، ص 19.

وكلمات هذه الأغنية رجعت بعويشة إلى ذكريات الماضي الجميل أيام شبابها وحبها لمحمد.

كما نجد كذلك الأغنية الشهيرة في قرية أولاد بن سعيد:

" لزرق وسعاني يا رفيقي ودي عنواني

مالح لغوالي زور مسعودة زهو البال

حبك جوجاني ومن غرامك زدت هبال

حبك رشاني يا الهيفة دارق لمزاني

جلح الدلالي وكاملة بالزين والوصاف"[1].

فهذه الأغنية كانت تردد من طرف النسوة، عند الذهاب والاحتفال بموسم زيارة الضريح وهذا ما جعل الحاج جلول يستمع إلى الأغنية ولحنها لأنه كان مفتون بالجمال عاشقا له.

وأيضا في أغنية رددتها النسوة من كلمات نانا عايشة:

"خيار يستاهل الشكر

صلى الله عليه، ما يبخل مداح سيد الأمة

سيد الرجالة"[2].

وهذه الأغنية تدل على مدح الرسول صلى الله عليه وسلم خير الأنام، الذي يمثل قدوة للأمة الإسلامية.

---

[1] الرواية، ص 23.

[2] الرواية، ص 25.

5.اللهجات العامية:

اللهجة هي وسيلة التواصل بين أفراد المجتمع الواحد، وهذا راجع إلى اعتبارها اللغة العامة للناس، لأنها بسيطة وسهلة، فالمتحدثون بها يميلون إلى كل ما هو سهل على النطق والاستعمال.

أ. لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور لكلمة اللهجة " من مادة لهج. لهج بالأمر لهجا. وألهج كلاهما أي أولع به واعتاده. فاللهج بالشيء أي الولع به. اللهّجة واللّهجة طرف اللسان. واللهجة جرس الكلام. والفتح أعلى. يقال فلان فصيح اللهجة أي لغته التي جبل عليها فاعتادها ونشأ عليها "[1]، نستنتج من هذا التعريف أن اللهجة تدل على أن الفرد متمكن من لغته التي فطر عليها والتي يتبادلها أفراد جماعته فيما بينهم.

ب.اصطلاحا:

أما في الاصطلاح، فإن الباحثين قدموا العديد من التعاريف لهذا المصطلح، كل حسب وجهة نظره، وهذا ما ذهب إليه البعض في تعريفهم لهذا المصطلح بقولهم على أنها " مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئات خاصة ويشترك فيها أفراد البيئة"[2]،أي أنها مجموعة رموز يتواصل بها الأفراد في حياتهم اليومية، وتختلف من منطقة لأخرى.

أما الباحث حسن ظاظا فيعرف اللهجة في قوله: " إذا كانت مجموعة من اللهجات تنتمي إلى لغة ما، وكانت هذه اللغة الأم ما زالت على قيد الحياة شائعة الاستعمال، فإن أية واحدة من

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، ج12، ص240.

[2] ابراهيم أنيس: اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د ط، 2001، ص16

فروعها غير جديرة بأن تسمى لغة إلى أن تموت لغة الأم بنفسها"[1]، ونقول إنّ اللغة الأم لا يمكن الاستغناء عنها، لأن بفضلها انبثقت منها جميع اللهجات. ولا يمكن لأي لغة أخرى أن تحتل مكانتها.

ولقد وظفت جميلة طلباوي في روايتها اللهجة العامية، حيث نجدها بكثافة في قلب الرواية من بدايتها إلى نهايتها، لكونها لغة تواصل بين أهالي الصحراء، ونجد من بينها:

_" واش حال": وهي عبارة يرددها الصحراويين من أجل السؤال عن الأحوال. في قول الروائية " واش حال عويشة؟"[2].

_ الزرقة: اسم يطلق على المرأة الصحراوية ذات اللون الأسمر "نفس الشيء كان يفعله الخدم ينادونني "الزرقة" عندما أرتكب حماقة"[3].

_ هذي باينة: وتعني التأكيد على وضوح الشيء وعدم إبهامه وغموضه في قولها " هذي باينة يا سيدي"[4].

_ الله يكمّل: هي جملة تقال للشخص الذي يريد القيام بعمل ما وتعني الله يسهل لك ذاك العمل ويكتمل بالخير، ونجدها في الرواية " الله يكمل بالخير، الله يسخّر"[5].

_ "أنت تعرف مصلحة بنتك"[1]، المقصود بها أنك أعلم بمصلحة ابنتك.

---

[1] حسن ظاظا: اللسان والإنسان، مدخل إلى معرفة اللغة، دار العلم، دمشق، ط2، ص122.

[2] الرواية، ص 21.

[3] المصدر نفسه، ص58.

[4] المصدر نفسه، ص28.

[5] المصدر نفسه، ص37.

_ "جبت لك الجاه"[2]، أي أتيت لك بالجاه.

_ "هذي ما قبلناها منك يا سيدنا"[3]، المعنى هنا هذه لن نتقبلها منك يا سيدنا.

_ "أمالين الدار"[4]، هي كلمة يرددها الجزائريون عند الدخول إلى البيت ولم يجدوا أهله وتعني بالفصحى يا أهل الدار.

_ "هاكها يا سيدي"[5]، المراد هنا خذها يا سيدي.

_ "خالي مسكين قليل الزهر"[6]، عبارة تدل على الإنسان القليل الحظ، وتقابلها بالفصحى خالي مسكين قليل الحظ.

_ "سيدي مابا يقرا"[7]، وهي جملة تطلق على الإنسان الذي لا يريد القراءة، أي: سيدي لا يريد القراءة.

_ " هذي لالة مريم مرات الحاج جلول"[8]، أي هذه لالة مريم زوجة الحاج جلول.

_ " أقربيش"[1]، وهي تسمية خاصة بالكتاب الذين يحفظون القرآن في الزوايا، وهذا ما توضحه الرواية "كنت حينها أحفظ القرآن في "أقربيش" التسمية الخاصة بالكتاب في تيمي، ذكائي جعلني متقدمة في الحفظ".

---

(1) الرواية، ص38.

(2) المصدر نفسه، ص41.

(3) المصدر نفسه، ص55.

(4) المصدر نفسه، ص65.

(5) المصدر نفسه، ص66.

(6) المصدر نفسه، ص80.

(7) المصدر نفسه، ص87.

(8) المصدر نفسه، ص92.

_ "وين راكي"[2]، يعني هذا القول أين أنتِ؟

_ "وينها عروستنا؟"[3]، وهذه تعني أين هي عروستنا.

_ " مالها وريقة الحنة؟"[4]، وتقال للسؤال عن حال الإنسان أي ما بها وريقة الحنة؟

_ "تهلّي في روحك"[5]، أي اعتن بنفسك.

_ "جنان"[6]، يطلق هذا على الحديقة، ويظهر هذا في الرواية " ما عاد خرير مياه للسواقي، الفقارات يطربني، ولا عاد لجلوسي في "جنان" قصر سيد الشيخ، يفرقني من همومي مثل قبل، ما عاد للأشياء طعم لقد غاب وجه أمي عن هذا العالم".

_ "راكي مسامحة"[7]، تطلق هذه الجملة للشخص الذي يطلب العفو، أي بمعنى أنكِ مسامحة.

_" ما عندنا جامعة في تيمي"[8]، أي ليس لدينا جامعة في تيمي.

_ "خل البنية تعيش وقتها"[9]، تقابلها في الفصحى أترك البنت تعيش حياتها.

_ "وهرن كبيرة غادية تهملي فيها"[1]، معناه وهران مدينة كبيرة ستضيعين فيها.

---

[1] الرواية، ص113.
[2] المصدر نفسه، ص113.
[3] المصدر نفسه، ص115.
[4] المصدر نفسه، ص122.
[5] المصدر نفسه، ص129
[6] المصدر نفسه، ص132.
[7] المصدر نفسه، ص139.
[8] المصدر نفسه، ص143.
[9] الرواية، ص148.

_ " ياك لاباس عويشة"[2]، أي هل أنت بخير؟.

_ "فانة هايلة"[3]، يطلق على المرأة التي تتمتع بالأخلاق الحسنة، ومعناها فانة الجميلة.

رابعا: الثقافة المادية والفنون الشعبية:

تزخر الجزائر بمختلف الفنون الشعبية، جعلتها متميزة عن باقي بلدان العالم، وهذا لكونها تملك إرث حضاري وثقافي، قد عرّجت بنا الروائية جميلة طلباوي في متنها الروائي فسافرت بنا إلى الماضي لتجعلنا نعيش الحياة الصحراوية بكل ما فيها من الفنون الشعبية المتمثلة في: اللباس الشعبي، الطبخ الشعبي، العمارة الشعبية، الأثاث الشعبي، أدوات الزينة.

1. الطبخ الشعبي:

تشتهر مدينة "أدرار" بمختلف أنواع الأطعمة الشعبية التقليدية، ويتم إعدادها في المناسبات والأعياد والحفلات والنجاح، ومن خلال اطلاعنا على الرواية، التمسنا وجود عدة أنواع من هذه الأطعمة منها:

أ. **الرقاق:** تعتبر أكلة الرقاق من أبرز الأطباق التي تفضلها العائلات الصحراوية، فتحب أن تكون حاضرة على مائدتها خلال العديد من المناسبات، وهي " حلوة لذيذة تضع من الرقاق الرفيع واللبن والسمن، ويوضع الرقاق في الصينية وفوقه الجوز واللوز والزبيب والبندق المكسر ثم يضاف اللبن والسمن، ثم توضع الصينية في الفرن حتى ينضج الرقاق"[4].

---

(1) المصدر نفسه، ص151.

(2) المصدر نفسه، ص171.

(3) المصدر نفسه، ص173.

(4) عبد الحميد يونس: معجم الفولكلور مع مسرد انجليزي_ عربي http://www.alkottob.com ، ص102.

وقد جعلتنا الروائية نتعرف على هذه الأكلة الشعبية الصحراوية من خلال قراءتنا للرواية، في قولها: " وما هي إلا لحظات حتى عاد بصينية الشاي، يتبعه ابنه حاملا طبقا من الرقاق أضيف إليه مرق بالبصل وآخر فيه تمر مسفوف تجيد تحضيره نساء تيمي أيضا بتجفيف التمر ودقه مع التوابل ليتحول إلى أكلة لذيذة"[1]، فنساء تيمي يبدعن، في صنع هذا الطبق التقليدي بكل احترافية مع إضافة له بعض من مرق البصل والتمر المسفوف لزيادة النكهة والمذاق لتقديمه للضيوف.

ب. الكسكس:

هو سيد الأطباق الجزائرية التقليدية، يطلق عليه "النعمة" أو "الطعام" كما هو أكلة لمعظم المناسبات " هو طعام يعمل من الدقيق وهو مشهور عند العامة والخاصة من الناس"[2].

وقد ذكرت لنا الرواية أن الخادمات كنّ مكلفات بإخبار العائلات في تيمي ربات البيوت عن موعد فتل الكسكس بقصر سيدي الشيخ"[3]، فالتعاون في فتل الكسكس له متعة خاصة، ولهذا تشترك النسوة في إعداده في تيمي بقصر سيدي الشيخ. وأكلة الكسكس تقدم في العديد من المناسبات منها الأفراح والأحزان، فبعد وفاة لالا مريم أقيمت وليمة عزاء على روحها فأعدوا الطعام وهذا ما وضحته الرواية " شوهدت زوجات والدي سلطان الغرام وبناته في العزاء، تقدمن الواحدة تلو الأخرى بأعين ينطق منها الندم، قدمن لي التعازي واجتهدن في إعداد الكسكس والطعام الذي تصدقن به على روحها"[4]، وكان سبب إعداد هذا الكسكس هو التصدق على

---

(1) الرواية، ص31.

(2) بطرس البستاني، محيط المحيط، قاموس مطول للغة العربية، مكتبة لبنان، بيروت، د ط، 1987، ص776.

(3) الرواية، ص55.

(4) الرواية، ص132.

روح لالة مريم، بينما اجتهدت بنات السلطان في إعداد هذا الكسكس وعلامات الندم والحسرة بادية على وجوههن.

ج. البغرير:

أكلة تقليدية شعبية من أقدم الأكلات في الجزائر، ويرتبط تحضير البغرير في الجزائر بعادة أو مناسبة معينة، لاسيما مع طعمها الحلو، وهي ترتبط بالتراث الجزائري القديم، يرمز إلى الخير والبركة والفرح والكرم.

وقد صوّرت لنا الروائية بعض الأطباق، التي تحملها الخادمات للضيوف منها طبق البغرير في لسانها " تعود الخادمة زازة تحمل صينية الشاي ترافقها خادمتان تحملان أطباقا فيها الحلوى والمسمن وفطائر البغرير والسمن والفول السوداني"[1].

يعدّ البغرير من الأطباق الرئيسية عند أهالي مدينة تيمي، يدل تقديمهم هذا الطبق للضيوف على الجود والكرم الذي يتصف به أهل الصحراء.

2. اللباس الشعبي:

[1] المصدر نفسه، ص89.

اللباس الشعبي رمز من رموز الثقافة الجزائرية وهويتها الوطنية، الذي تفتخر به المرأة الجزائرية، حيث لكل منطقة لباسها الشعبي الخاص، ومن هذا المنطلق تأخذنا جميلة طلباوي في جولة إلى جنوب الجزائر، لتكشف لنا أسرار الصحراء وما تتميز به من أزياء تقليدية في طابعها الخاص، الذي يتصف بالحشمة والتواضع، والوقار والذوق السليم والبساطة، ومن بين هذه الأزياء التقليدية نذكر منها:

أ. الملحفة:

هي عبارة عن قطعة ثوب واحدة، طولها أربع أمتار، وعرضها يصل بالكاد إلى متر ونصف وهي مختلفة الأشكال والألوان، وتلفّ حول البدن بعد أن تربط عند الكتفين، وتمنح الملحفة للمرأة في المنطقة الصحراوية أناقة وجمالا منفردا، يميزها عن باقي النساء، وترتدي الصحراويات هذا الزي التقليدي بشكل يومي، وفي جميع المناسبات والأماكن، ولا تستغني المرأة الصحراوية عن لبسه.

ونرى في الرواية نساء تيمي ترتدين اللباس التقليدي، المتمثل في الملحفة ويتضح ذلك في "مريم التي اعتمر وجهها خجلا وعيناها تلتقيان بعيني سلطان الغرام، شدت جزءا من الملحفة المتدلية على رأسها وغطت ثغرها الباسم"[1].

ولالة مريم من بين النساء الصحراويات اللواتي يعشن في مدينة تيمي، نجدها ترتدي هذا الزي التقليدي، وهذا ما يثبت تمسكها بعاداتها وعادات منطقتها.

ب. العباءة:

[1] الرواية، ص24.

العباءة هي " كساء من الصوف مفتوح من قدام يلبس فوق الثياب"[1]، فهذا النوع من اللباس التقليدي الذي تشتهر به جنوب الصحراء يعد جزء من موروثها الشعبي الذي لا زالت تحافظ عليه المرأة الصحراوية، وقد جعلتنا الروائية نغوص في مدينة تيمي بقولها " لحظات فقط وتقبل سيدة بيضاء البشرة، فارعة الطول، واسعة العينين، تلبس عباءة بيضاء وتضع على رأسها منديلا بلون أحمر قان، حول خصرها حزام من فضة تتنعل " بلغة" صنعت من القطيفة وطرزت بخيوط ذهبية اللون"[2]، فالعباءة تلبسها نسوة تيمي احتشاما وسترا، عند خروجهن، وهذا يدل على الاحترام والتواضع في إعطائهم قيمة لهذا اللباس الصحراوي الأصيل.

ج. الحايك:

يعتبر الحايك أيقونة التراث الشعبي الجزائري ويعرف بـ" الحولي الذي سداه ولحمته حرير أو إحداهما فقط، أو يكون من الصوف معلما بالحرير"[3]، فالحايك هو ذلك الزي الأبيض الذي يستر المرأة من أعلى الرأس إلى أخمص القدمين، له مكانة خاصة في عادات وتقاليد الجزائريين.

وقد جعلتنا الروائية جميلة طلباوي نقف على هذا النوع من اللباس الصحراوي، الذي تلبسه المرأة عند خروجها، ويظهر ذلك في في قولها:" استقر رأي والدتي على شراء سلسلة وخاتم وإسورة وقرطين، قدمت أوراق نقدية كثيرة للصائغ، ثم دست كل تلك القطع الثمينة الموضوعة في علب في صدرها، عدلت الحايك رداءها الذي تخرج به إلى الشارع كما عدلت نقابها أيضا، وغادرنا عائدتين إلى بيت سيد الشيخ"[4]، فالحايك ليس فقط موروثا شعبيل أو رمزا للثقافة المحلية والوطنية الجزائرية، بل هو رمز لزينة المرأة، حافظ للحياء، حيث يضفي عليها سحرا،

---

(1) عبد الحميد العلوجي: من تراثنا الشعبي، دار الجمهورية، بغداد، 1966، ص94.

(2) الرواية، ص88.

(3) ابراهيم محمد الساسي العوامر: الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، الجزائر، 2001، ص ص104، 105.

(4) الرواية، ص114.

يزيده بياض القماش جمالا ولا يزال هذا اللباس التقليدي سترة العروس من بيت أهلها إلى بيت زوجها، ويعتبر الحايك جزءا من تاريخ الجزائر.

د. العمامة:

تمثل العمامة من أجود أنواع الملابس التقليدية، والتي هي " ما يلف على الرأس ويقال أن فلانا أعتم القفداء إذا لف عمامته على رأسه ولم يبدل لها عذبة"[1]، فالعمامة نوع من اللباس التقليدي التي يعتمرها الرجل الجزائري تشتهر بها المناطق الصحراوية.

وهناك نوع آخر من اللباس التقليدي قامت الروائية بذكره وهو نوع مخصص للرجال يتمثل ذلك في قولها "تعالت الزغاريد بهجة بقدوم سلطان الغرام، مشى بين الجموع تداعب الرمال الصافية خطواته، أخذ مكانه وسط الحلقة الكبيرة من نساء ورجال وأطفال، عدل من شاشه، عمامته التي يعتز بها، فزاد وجهه بهاء وجاذبية"[2].

إن التزام الشيخ جلول باللباس التقليدي وارتداءه العمامة أضفت جاذبية على شخصيته، فضلا عن مكانته المرموقة، وهيبته ووقاره وسط أهل عشيرته.

3. أدوات الزينة:

[1] عبد الحميد العلوجي: من تراثنا الشعبي، المرجع السابق، ص95.

[2] الرواية، ص ص 23، 24.

اهتمت المرأة بأدوات الزينة، لما لها من دور في إبراز جمالها، لأنها تشكل جزءا من تركيبتها. ومن المؤكد أن المرأة لا يمكن أن تستغني عنها، هذا ما جعل الروائية تصور لنا اهتمام نساء مدينة تيمي بهذه الأدوات وكيف يتزينن بها في المناسبات والأفراح، من بينها الحناء، الكحل، البخور. فتقول في الرواية " لطالما انتبهت إلى سحر الحناء، وإلى السر الكامن في لونها، وفي رائحتها، وفي رمزيتها المرتبطة بالقدم، بدأ وعي بضرورتها الجمالية مذ كنت طفلة، أمد يدي الغضة لتخضبها والدتي بالحناء، احتفالا بالأعياد والمناسبات السعيدة، أذكر أنها كانت تدندن بأغنية ما زالت عالقة بروحي: "بنيتي وريقة حنة، وبها قلبي يتهنا" فأنام كملاك وأنهض باكرا لأحل رباط الحناء، وأبدأ في تفتيت ما يبس منها ليظهر لونها جليا زاهيا في كفي أستنشق رائحتها وأسعد"[1].

ويجدر القول هنا إنّ الحنة وسيلة من وسائل الزينة، وطقسا من الطقوس الاجتماعية تستخدمها المرأة الصحراوية للتزيّن خاصة في الأعراس، فهي تحمل دلالة رمزية، ترمز إلى الفرح، والسعادة، والبهجة، حتى لقبت بطلة الرواية "عويشة التيماوية" بوريقة الحناء نظرا للتشابه الموجود بينهما في نشر السعادة.

كما نجد كذلك أنواعا أخرى من أدوات الزينة تستعملها العروس الصحراوية، فتقول الروائية "كان ينتج صوت الهاون والنسوة يقمن بتحضير البخور والحناء والكحل لتأخذ العروستان زينتهما قبل أن تزفا إلى العريسين المحظوظين بمصاهرة سيدي الشيخ والإقامة في القصر المبارك دار سيدي الشيخ الكبيرة"[2]، يتبين لنا أن نساء مدينة تيمي يهتممن بجمالهن ومظاهرهن، وذلك من خلال تمسكهن بهذه الأدوات واستخدامها، مما تزيد المرأة الصحراوية عامة والتيماوية خاصة بهاءً وجمالا.

---

[1] الرواية، ص13.

[2] المصدر نفسه، ص83.

4. العمارة الشعبية:

تميزت العمارة الشعبية بإبداعها الفني وجمال تصنيفاتها، وقد جعلتنا جميلة طلباوي نعيش الأجواء داخل هذه العمارة الشعبية من بينها الزوايا، القصر.

أ. الزوايا:

مثلت الزوايا إحدى معالم الحضارة الإسلامية، وهي "على الجملة مدرسة دينية، ودار مجانية للضيافة وتحتوي عادة على مصلى وغرفة قصرت على تلاوة القرآن، ومدرسة لتحفيظ القرآن، وتلقين علوم الدين وقواعد اللغة العربية كما تضم غرف أو مراقد لإيواء الطلبة وضيوف الزاوية والحجاج والمسافرين، ويلحق بها أيضا ضريح الولي الصالح، وبكون هذا الولي في الغالب هو مؤسس الزاوية"[1]. ويتمثل دور الزوايا في نشر التعليم والتوعية وتلقين مبادئ الأخلاق الإنسانية والدينية والتربوية ومحاربة الجهل والأمية، وحسب الروائية فإن زوايا مدينة تيمي حفظت لها تاريخها وأصالتها، فكانت بمثابة إرث حضاري بامتياز.

وتجلى ذكر الزوايا في الرواية من خلال " هذه الوضعية التي تشترك فيها لالة مريم مع لالة حليمة، فكلتاهما حرمت من الخروج من البيت ككل زوجات الرجال الذين لهم مكانة دينية واجتماعية في تيمي التي تزدان الزوايا هي منارات علم حفظت لتيمي تاريخها وأصالتها، وهي مراكز إشعاع ثقافي ديني يحفظ التلاميذ على مشايخها القرآن الكريم، ويدرسون الفقه واللغة العربية الفصحى، وما كان يثير فضول عويشة منذ الصغر هو تلك المكانة الجليلة التي يحظى بها شيوخ الزوايا وزوجاتهم وأبناؤهم في وجدان السكان"[2].

---

[1] عبد العزيز شهبي: الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2007، ص ص 13، 14.

[2] الرواية، ص84.

وقد جعلتنا الروائية نتعرّف على مدينة تيمي، وما يوجد فيها من أنواع العمارة الشعبية تمثلت في الزوايا التي تعد منبرا كوّن وعلّم أبناء الصحراء، وزرع فيهم القيم النبيلة، كما أن رقي شيوخها كان له جليل الأثر عليها.

ب.القصر:

وهو تجمع سكاني يتكون من مجموعة من البيوت تحيط به الأسوار، وقد أدرجت الروائية أمكنة تراثية من بينها القصر، وذلك ما يتجلى في هذا المقطع الوصفي " كانت تلك المرة الأولى التي تدخل فيها لالة مريم القصر الكبير أو دار شيخ الزاوية، فتكتشف عالما آخر صاخبا حياة تختلف كثيرا عن الخارج، أذهلها النظام الدقيق الذي يحكمه ابتداء من توزيع الأجنحة وكل جناح له باب يؤدي إلى خارج القصر، وكل جناح متكون من عدة غرف واسعة مؤثثة بأفرشة ونمارق، جناح سيدي الشيخ وخلوته، جناح زوجته، جناح ابنته الكبرى تقيم فيه مع زوجها وأبنائها، جناح ابنته الصغرى تقيم فيه مع زوجها وأبنائها وجناح لابنه الوحيد السي عثمان وجناح للضيوف مهيأ بكل ما يحتاجه الضيف المقيم لعدة أيام"[1].

قمنا بجولة رفقة الروائية داخل القصر، ولم نستطع سوى التعبير عن اندهاشنا من تصميمه ونظامه، وعرفتنا على كل زاوية من زواياه، ابتداءً من توزيع الأجنحة حتى الخدم.

5. الأثاث الشعبي:

[1] المصدر نفسه، ص53.

يعتبر الأثاث الشعبي من الطراز التقليدي الذي يتمثل في المفروشات وغيرها، حيث يستعمل ديكورات وأثاثا للمنزل، لما تتميز به من أناقة وفخامة معبرة تعكس روح الماضي والتاريخ العريق على مر السنين.

أ. الزربية:

من الحرف التراثية الجزائرية التقليدية، تصنع من الصوف أو الوبر، تنسج يدويا، وتعني الفراش أو البساط المزركش المصنوع من الصوف، تستعمل لتزيين وتغطية الأرضية، تتميز بزخارف ورموز وأشكال هندسية، تبرز جمال الثقافة الجزائرية، وهذا ما ذكرته لنا جميلة طلباوي من خلال تمسك أهل مدينة تيمي بالحرف التقليدية، باستخدامهم للزرابي في البيوت " دخل أبا أحمد بيته فتح باب غرفة واسعة، جدرانها من طوب وسقفها المرتفع من أخشاب النخيل لكنها بدت أنيقة بمنظر الزرابي والأفرشة والنمارق، ثم دعا ضيوفه للدخول، أخذ كل منهم مكانة وراح أبا أحمد يستعجل أهله ليهيئوا ألذ ما لديهم من أكل وتمر لتقديمه للضيوف"[1].

تبقى الزربية الصحراوية رمز الأصالة والعراقة، تمثل تراث الأجداد ومفخرة الأحفاد، كما تعتبر فخر للبيوت الصحراوية.

ب.الهيدورة:

يتم صناعة الهيدورة من جلد أضحية العيد، بعد غسلها بالصابون لإزالة بقع الدم والشوائب، فتصبح صوف رطبة كثيفة بشكلها الجميل الدائري ولونها الأنيق، تتربع على عرش الديكور في قاعات الجلوس بالبيوت الجزائرية، وقد وظفت الروائية الهيدورة كأثاث شعبي في بيوت أهل مدينة تيمي بالصحراء في قولها: " على فراش صنع من صوف خروف العيد نسميه "الهيدورة" زين بخيوط من حرير بألوان مختلفة، أشعلت الصبايا الشموع وجلسن إلى جانبي ،

[1] الرواية، ص ص 30، 31.

والنسوة من حولي يضربن على الدف، ويصدحن بأهازيج جميلة في ليلة كما ليالي ألف ليلة وليلة، ليلة رشت السماء فيها الأرض ببعض زخات المطر، لتبتهج والدتي، ويعلن للجميع بأن هذا الزواج سيكون مباركا وقطرات الغيث علامة ذلك، ثم راحت تردد: "بنتي عويشة وريقة الحنا اللي يتزوجها يتهنا، بنتي وجه خير"[1].

ونكشف هنا أن مدينة تيمي كغيرها من المدن الصحراوية، ما زالت تحافظ على الأثاث الشعبي، من بينها الهيدورة وذلك بتزيينها بالألوان الفاتنة لاستعمالها في المناسبات والأعراس.

[1] الرواية، ص14.

خاتمة

بعد الجولة التي قمنا بها بين سطور "وادي الحناء" لجميلة طلباوي"، ودراستنا للتراث الشعبي نخلص إلى أهم النتائج التي توصلنا إليها، وهي كالآتي:

1. يمثل التراث الشعبي العطاءات القولية والفنية والفكرية والمجتمعية التي ورثها الخلف عن السلف.
2. لكل أمة تراث تعتز به، وتفتخر به، تعده الجذر الذي يمتد في الماضي السحيق ليؤرخ لحياة الأمة ويجسد أمجادها العظيمة.
3. للتراث أهمية كبيرة في تعزيز الروابط والقيم الإنسانية والاجتماعية.
4. يتسم التراث بخصائص ومميزات جعلت الباحثين يولونه اهتماما كبيرا.
5. المجتمع الجزائري من المجتمعات التي لا زالت تحافظ على التراث لأنه يعبر عن روح الأمة، ونبض حياتها وثقافتها.
6. التراث الشعبي يمثل حلقة الوصل بين الماضي والحاضر والمستقبل
7. كما يعدّ ذاكرة حية لا يفنى بفناء الزمان ولا يتغير بتغير المكان
8. لجأت الروائية جميلة طلباوي إلى التراث الشعبي بمختلف أشكاله لتجسيد قضايا اجتماعية وفكرية.
9. جعلتنا الروائية جميلة طلباوي نغوص في أعماق الصحراء الجزائرية لتكشف عن خبايا وأسرار الصحراء وثراء تراثها.
10. التراث الصحراوي غني بتقاليده وعاداته ومعتقداته.

11. نقلت جميلة طلباوي في الرواية روح البيئة الصحراوية الجزائرية وثقافتها بكل طقوسها، ومعتقداتها، وعاداتها وتقاليدها.

12. يتميز كل مجتمع بثراء هويته التي تحدد ملامح رسوخه في الأرض وتماهيه معها.

13. تميّز أهل مدينة تيمي بحفاظهم على القيم الاجتماعية وهذا دليل على تمسكهم بالتراث وعادات أجدادهم.

14. غلب على رواية "وادي الحناء" طابع الثراء الشعبي، فهي تحكي تاريخ الصحراء لما له من أصالة وعراقة.

15. تعددت وتنوعت مختلف أشكال الأدب الشعبي داخل الرواية من أمثال وحكم وأغان وغيرها.

وعليه فإن الحفاظ على التراث الشعبي يعني الحفاظ على الهوية الثقافية للمجتمع، والتي رمز للروح الجماعية التي ميّزت الفرد الجزائري عبر التاريخ.

قائمة المصادر والمراجع

_ القرآن الكريم برواية ورش.

_ المصادر:

1. جميلة طلباوي: وادي الحناء، ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2018.

المراجع:

المراجع باللغة العربية:

2. ابراهيم أبو طالب: الموروثات الشعبية القصصية في الرواية اليمنية (دراسة في التفاعل النصي)، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، اليمن، د ط، 2004.
3. ابراهيم أنيس: اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د ط، 2001.
4. ابراهيم محمد الساسي العوامر: الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، الجزائر، 2001.
5. إحسان عباس: اتجاهات الشعر العربي المعاصر، سلسلة عالم المعرفة، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط3، 2001.
6. أحمد زياد محبك: من تراثنا الشعبي، دراسة تحليلية للحكاية الشعبية، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 2005.
7. أمينة فزازي: مناهج دراسات الأدب الشعبي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 2010.
8. تأليف جماعي: الموروث الشعبي والهوية الوطنية، مخبر حوار الحضارات والتنوع الثقافي وفلسفة السلم، الجزائر، د ط، 2014.
9. حسن ظاظا: اللسان والإنسان، مدخل إلى معرفة اللغة، دار العلم، دمشق، ط2.
10. حسين نصار: الشعر الشعبي العربي، منشورات اقرأ، بيروت، لبنان، ط2، 1980.

11. سعيد المصري: إعادة إنتاج التراث الشعبي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2012.
12. شوقي عبد الحكيم: الرجل والمرأة في التراث الشعبي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، دط، 2012.
13. عبد الحميد بوسماحة: الموروث الشعبي في روايات عبد الحميد بن هدوقة، دار السبيل، الجزائر العاصمة، بن عكنون، 2008.
14. عبد الحميد العلوجي: من تراثنا الشعبي، دار الجمهورية، بغداد، 1966.
15. عبد الحميد يونس: دفاع عن الفولكلور، د ط، د ت.
16. عبد العزيز شهبي: الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2007.
17. عز الدين اسماعيل: المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د ط، 1975.
18. علي عشري زايد: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1997.
19. فاروق خورشيد: الموروث الشعبي، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط1، 1992.
20. فهمي جدعان: نظرية التراث دراسات عربية وإسلامية أخرى، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، 1985
21. مبارك بن محمد الميلي: رسالة الشرك ومظاهره، دار البحث، قسنطينة، ط3، 1982.
22. محمد أبو حسان: المرأة والأسرة بيت الإسلام والنظم الغربية، جمعية العفاف الخيرية، عمان، الأردن، د ط، 2000.
23. محمد الجوهري: مقدمة في دراسة التراث الشعبي المصري، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، جامعة القاهرة، ط1، 2006.
24. محمد رياض وتار: توظيف التراث في الرواية العربية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق،دط، 2002.

25. محمد عابد الجابري: التراث والحداثة، دراسات ومناقشات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1991.

26. وحيد بن عبد السلام بالي: الصارم البتار في التحدي للسحرة الأشرار، مكتبة الصحابية، جدة، ط3، 1992.

_ كتب مترجمة:

27. أكرم ضياء العمري: "التراث والمعاصرة، تر: عمر عبيد حسنة، كتاب الأمة، ط1، قطر.

_ المعاجم والقواميس:

28. ابراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004، ج2.

29. أبو الحسن بن فارس: مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل للطبع والنشر، القاهرة، ط1، 1979، ج6.

30. أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تح: مهدي المخزومي، ابراهيم السامرائي، ج4.

31. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور: لسان العرب، مادة "ورث"، دار صادر، بيروت، ط2 ،1999، مجلد2.

32. أحمد أمين: قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012.

33. أحمد رضا: معجم متن اللغة، موسوعة لغوية حديثة، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، مجلد2، 1958.

34. اسماعيل بن حماد الجوهري: معجم الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور طار، دار العلم للملايين، ط3، 1984، ج1.

35. بطرس البستاني، محيط المحيط، قاموس مطول للغة العربية، مكتبة لبنان، بيروت، د ط، 1987.

36. عبد الحميد يونس: معجم الفولكلور مع مسرد انجليزي_ عربي . http://www.alkottob.com

37. عبد النور جبور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1979.

38. لويس معلوف: المنجد في اللغة والاعلام، دار المشرق، بيروت، مجلد1، ط19، 1992.

_ الدوريات والمجلات والجرائد:

39. أحمد موسى: تراث الموسيقا الشعبية الفلسطينية _ خصائصه ومقوماته وطرق الحفاظ عليه، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، مجلد 33، الرقم1، 2009.

40. عبد الفتاح محمد المشهداني: الطب الشعبي والطب العلمي، دراسة وصفية تحليلية، مجلة دراسات موصيلية، العدد 34، 2011.

_ المقالات والمحاضرات:

41. آمنة صامت بوحايك: محاضرات في مقياس الأدب الشعبي العام، كلية الآداب والفنون، قسم الأدب العربي، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، 2020/ 2021.

_ الأطروحات الجامعية:

42. سميرة منصوري: توظيف التراث في الرواية المغاربية الجديدة_ قراءة في نماذج _ أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الرواية المغاربية، جامعة جيلالي إلياس سيدي بلعباس، 2016/ 2017.

_ المواقع الالكترونية:

43. بشير خلف: التراث والهوية... التماهي والتكامل http://mahewar.org، 12 أفريل 2021، 11:00 am.

44. نفيسة دويدة: المعتقدات والطقوس الخاصة بالأضرحة في الجزائر خلال الفترة العثمانية http://do.org/10.4000/insaniyat.15081/ ، 05/16/ 2021، 10:05.

المنخص

يتضمن هذا البحث دراسة التراث الشعبي في رواية "وادي الحناء"، ويقع في فصلين تسبقهما مقدمة، ثم تليهما خاتمة استخلصت فيها النتائج التي تمخض عنها البحث، ثم قائمة المصادر والمراجع.

درسنا في الفصل النظري مفهوم التراث لغة واصطلاحا، ومفهوم التراث الشعبي، أقسامه وخصائصه وأهميته، مع إضافة إلى البواعث الفنية التي أدت إلى توظيفه في رواية.

أما الفصل الثاني فقد درسنا فيه تجليات التراث الشعبي الجزائري وما يتميز به من معتقدات وعادات وتقاليد وفنون شعبية وأغان وقصص وأمثال من خلال رواية "وادي الحناء" وانتهينا بتحقيق نتائج تمثل خاتمة البحث.

Résumé:

Résumé cette recherche comprend l'étude du folklore dans le roman "Wadi AL-Henna", et elle est divisée en deux chapitres, précédés d'une introduction, suivie d'une conclusion dans laquelle les résultats de la recherche ont été extraits, puis une liste de sources, et références. Dans le chapitre théorique, nous avons étudié le concept de patrimoine, linguistiquement et idiomatiquement, et le concept de folklore, ses divisions, ses caractéristiques et son importance, en plus des motifs artistiques qui ont conduit à son emploi dans un roman, Quant au deuxième chapitre, nous avons étudié les manifestations du folklore Algérien et ses croyances, coutumes, traditions, arts populaires, chants, contes et proverbes distinctifs à travers le roman "Vallée du Henne".

فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
شكر وعرفان	
مقدمة	أ _ ج
الفصل الأول: التراث الشعبي وماهيته	
1. تعريف التراث	10
1.1. لغة	10
2.1. اصطلاحا	11
2. تعريف التراث الشعبي	13
3. أقسام التراث الشعبي	15
1.3. المعتقدات والمعارف الشعبية	15
2.3. العادات والتقاليد الشعبية	17
3.3. الأدب الشعبي	18
4.3. الثقافة المادية والفنون الشعبية	20
4. خصائص ومميزات التراث الشعبي	21
5. أهمية التراث الشعبي	26

6. بواعث توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة	29
1.6. البواعث الثقافية	29
2.6. البواعث الفنية	30
3.6. الحركة الثقافية	30
الفصل الثاني: التراث الشعبي في رواية "وادي الحناء" لجميلة طلباوي	
أولا: المعتقدات الشعبية	35
1. الزردة	35
2. الولي الصالح	36
3. الطب الشعبي	37
4. السحر	39
ثانيا: العادات والتقاليد الشعبية	40
1. مراسيم الزواج	40
2. مراسيم الوفاة	41
3. السبوع	42
4. عاشوراء	42

ثالثا: الأدب الشعبي	43
1. المثل الشعبي	43
2. الحكمة	45
3. الشعر الشعبي	48
4. الأغنية الشعبية	49
5. اللهجة العامية	51
رابعا: الثقافة المادية والفنون الشعبية	55
1. الطبخ الشعبي	55
أ. الرقاق	55
ب. الكسكس	56
ج. البغرير	57
2. اللباس الشعبي	58
أ. الملحفة	58
ب. العباية	59
ج. الحايك	59
د. العمامة	60

3. أدوات الزينة	61
4. العمارة الشعبية	62
أ. الزوايا	62
ب. القصر	63
5. الأثاث الشعبي	64
أ. الزربية	64
ب. الهيدورة	65
خاتمة	67
قائمة المصادر والمراجع	70
الملخص	76
فهرس الموضوعات	